وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 مـــــاي 1945 قالـــــمة

كلـــــية الـــعلوم الإنــــسانية والإجتـــــماعية

قسم التـــــاريخ



العلاقات العثمانية الفرنسية (1535 - 1830م)

مذكـــرة مقـــدمة لـــنيل شـــهادة المــــاستر في التاريخ العام

إعداد الطلبة:

– روابحية جهيدة

– زعايمية سامية

إشراف الأستاذ:

د. محمد شرقي

لجنة المناقشة

الأســـــــــتاذ	الرتـــــــبة	الصــــفة	الجامــــــــعة
أ.د/ بورغدة رمضان	أستاذ التعليم العالي	رئيـــــــسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
أ.د/ محمد شرقي	أستاذ التعليم العالي	مـشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
أ/ عمر عبد الناصر	أسـتاذ مســاعد "أ"	مـــناقشـــا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية 2016/2015 م



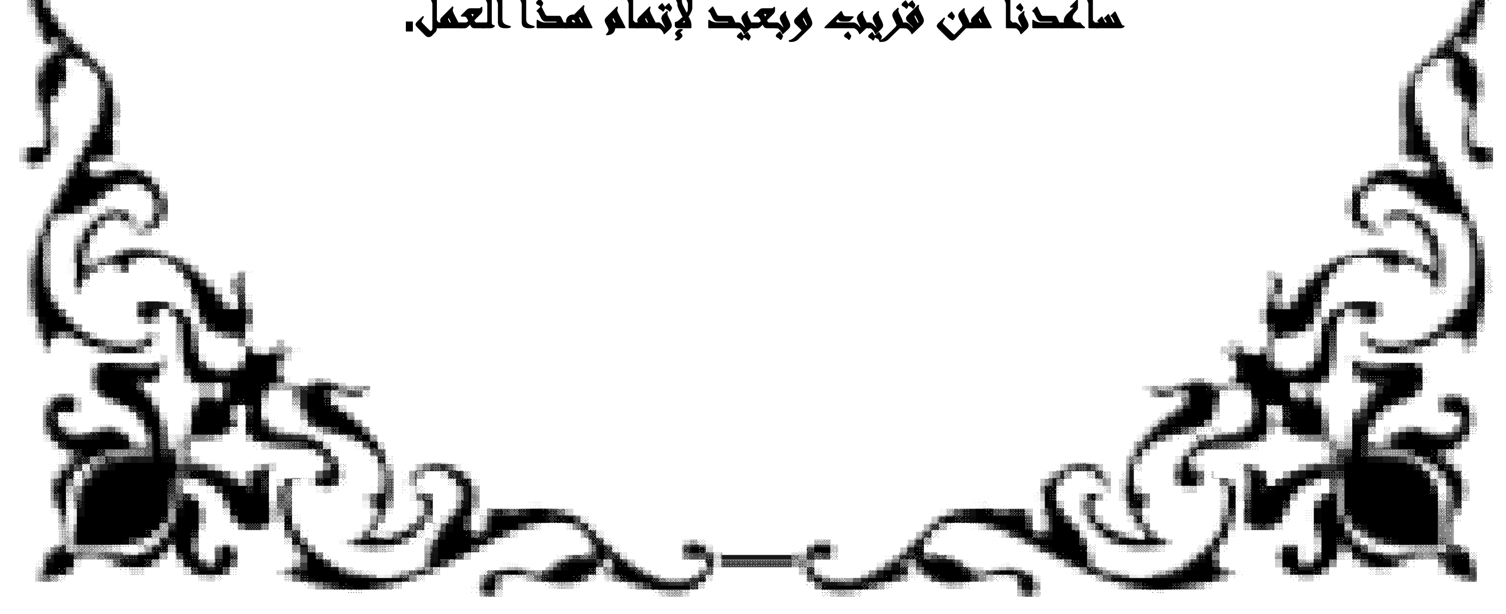
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين نحمده حمد الشاكرين ونشكره شكر الحامدين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا المنزل رحمة للعالمين، اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى أمة محمد أجمعين.

نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الكريم الأستاذ المشرف: "شرقي محمد" الذي أمدنا بالنصيحة والإرشاد ومد يد العون، كما نشكر أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم تقييم هذا العمل.

وإلى كل أساتذة قسم العلوم الإنسانية وإلى الطلبة الزملاء، وإلى كل من ساعدنا من قريب وبعيد لإتمام هذا العمل.





الإهــداء

بعد بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام على آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي وتعبي إلى من سهر على تربيتي وتنشئتي وتعليمي، إلى أحب الناس على قلبي بعد الله عز وجل أمي الغالية العزيزة "جميلة" وأبي العزيز "عمر"

إلى قرة عيني أخي الصغير الغالي "عامر"

إلى أغلى أخوات في الكون

أختي الكبرى "هناء" وأبنائها "أكرم وولاء ويمنى"

أختي "شيماء ووسام" المميزين على قلبي وأتمنى لهما التوفيق في شهادة البكالوريا إنشاء الله

إلى أختي المشاكسة "منار"

إلى جدي الحنون "أحمد" وأتمنى له الشفاء إن شاء الله وإلى جدتي "فطيمة"

إلى كل من دعمني طوال مشواري الدراسي من أقارب وأساتذة.

جهيدة



إهــداء

قال الله تعالى:

﴿ ...دُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ...
...دُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا ﴾

[سورة الإسراء: الآية 23].

إلى من تحت قدميها الجنة، إلى من سهرت لأنام وتعبت لأرتاح أمي الحبيبة "عائشة"

إلى أغلى وأعز الناس تاج راسي أبي العزيز "محمد" أطال الله في عمرهما.

إلى من أخذ بيدي وكان لي سندا وعونا أخي الغالي "هشام"رعاه الله وحفظه.

وإلى كل العائلة والأصدقاء

سامية

خطة البحث

مقدمة

مدخل: الخلفية التاريخية للعلاقات العثمانية الفرنسية

1. الأوضاع العامة قبيل التحالف العثماني الفرنسي
2. استنجاد فرنسوا بالسلطان سليمان

الفصل الأول: الامتيازات الفرنسية في الدولة العثمانية

1. قاعدة الامتيازات 1536م
2. التعاون العثماني الفرنسي ضد إمبراطورية شارل كان
3. **تجدد معاهدات نظام الامتيازات**
4. الإصلاحات في الدولة العثمانية
5. انعكاسات نظام الامتيازات
6. جهود الدولة العثمانية لإلغاء نظام الامتيازات

الفصل الثاني: الأطماع الفرنسية في المشرق العربي (مصر وبلاد الشام)

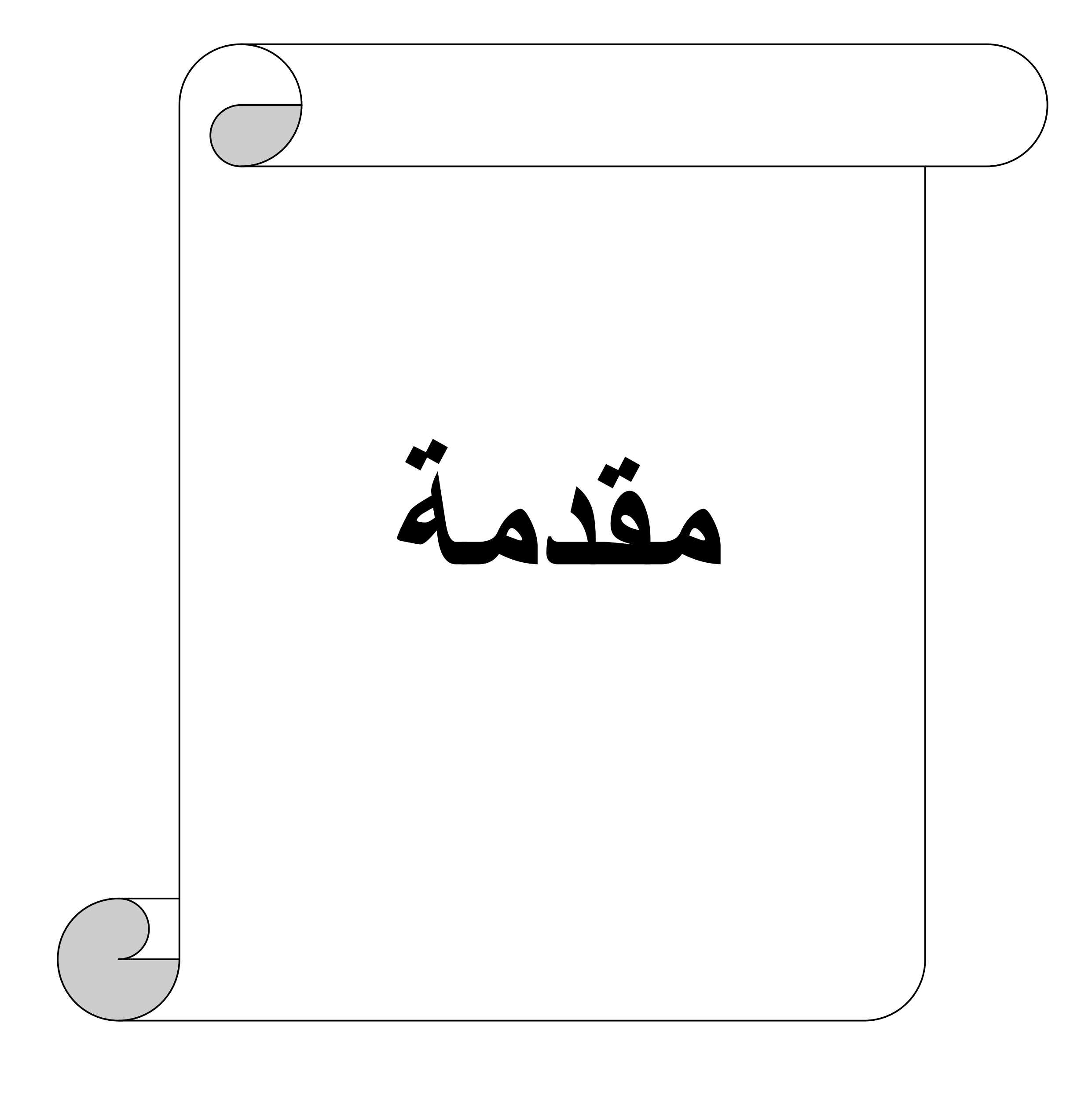
1. جذور الحملة الفرنسية وأسبابها
2. سير الحملة الفرنسية
3. رد فعل الدولة العثمانية اتجاه الحملة
4. فرنسا ومحمد علي باشا

الفصل الثالث: الأطماع الفرنسية في شمال إفريقيا (الجزائر نموذجا)

1. العلاقات العثمانية الفرنسية ما بين 1805م- 1821م
2. مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر
3. أسباب الاحتلال وسير الحملة
4. المواقف الدولية من الاحتلال الفرنسي للجزائر

قائمة المختصرات

الرمز	معناه	الرمز	معناه
د ط	دون طبعة	تص	تصدير
د د ن	دون دار نشر	ج	جزء
د م/ د م ن	دون مكان نشر	ط	طبعة
د س/ د س ن	دون سنة نشر	ص	صفحة
تع	تعريب	م	ميلادي
تح	تحقيق	هـ	هجري
مر	مراجعة		
تر	ترجمة		
تق	تقديم		



مقدمة

التار يخ العثماني مرتبط ومكمل لتاريخ الإسلام ،لذلك حمل العثمانيون على عاتقهم لواء الخلافة الإسلامية وعملوا على نشر الإسلام من بعد توالي سقوط الدولة الأموية والدولة العباسية، وأسسوا لنفسهم مركزا أصبحوا على إثره محط- للأنظار.

تعتبر الإمبراطورية العثمانية إمبراطورية ذات أهمية ساطعة من الناحية التاريخية، تفوق سعتها ما كان بالإمبراطورية البيزنطية قد صنعته في أوج قوتها، حيث قال آخر سفير للولايات المتحدة الأمريكية لدى الدولة العثمانية: أسّس العثمانيون في آسيا وا ٍفريقيا وأوروبا واحدة من أوسع الإمبراطوريات التي عرفها العالم"، فبأسلوبها سيطرت على حوض البحر الأبيض المتوسط كاملا، خاصة بعد توسع الدولة العثمانية بعد فتح القسطنطينية سنة 1453م وتوالي فتوحاتها في ربوع القارات الثلاث (آسيا، إفريقيا، أوروبا)، تحت حكم موحد، ما جعل الدول الأوروبية تنظر لها بمنظر العداء وتحسب لها الحساب مثل روسيا، إسبانيا، النمسا وغيرهم ،وهذا من جعلهم يفكرون في اتخاذ منهج وسياسة تم الترتيب لها اتجاه هذه الدولة الواسعة.

أسباب اختيار الموضوع:

ولأن تاريخ الدول العظمى حافل بالأحداث الزمنية المهمة ارتأينا أن نختار موضوع بحثنا بعنوان **العلاقات العثمانية الفرنسية** وارتبط اختيارنا لهذا الموضوع بأسباب موضوعية منها: معرفة أهمية وقوة ونفوذ هذه الدولة الإسلامية بالنسبة لفرنسا أي الدولة التي تخالف ديننا أو على ديانة أخرى وهي المسيحية، كذلك أهمية فرنسا بالنسبة للدولة العثمانية آنذاك، ومعرفة هدف كلا الطرفين من هذه العلاقة.

ولأن الدولة العثمانية تمثل وعاء كبيرا ومهم وجب الإطلاع عليها لمعرفة الجزء الذي يخص تاريخ بلادنا من هذه الدولة، فيتعين علينا التطرق إليها في محطة من محطات تاريخنا.

حدود الدراسة:

وتتمثل حدود دراستنا لهذا الموضوع في فترة طويلة نوعا ما وهي من فترة قوة الدولة العثمانية إلى غاية ضعفها ووهنها أي من سنة 1535م إلى غاية 1830م.

منهج البحث:

واتبعنا في ذلك المنهج السردي في ذكر الأحداث الزمنية الواردة حسب الترتيب الزمني بين الدولتين، والوصف في تتبع الأحداث والظواهر كما وردت في المصادر والمراجع.

إشكالية البحث:

ومن هذا يتبادر إلى أذهاننا جملة من التساؤلات لعل أبرزها:

- كيف كانت بداية العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا؟.
- كيف كانت تسير العلاقات بين هذين البلدين؟.
- ما هي انعكاسات هذه العلاقة على الدولة العثمانية والبلدان العربية وأثرها عليها؟.
- فيما تتمثل أطماع فرنسا من الدولة العثمانية؟.

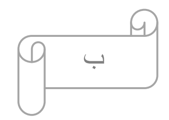
كما أن الدارس لموضوع العلاقات العثمانية الفرنسية قد يتساءل كيف سارت الحملات الفرنسية سواء على مصر أو بلاد الشام أو الجزائر وعن أسبابها والغاية منها؟ وأيضا:

- كيف كان موقف الدولة العثمانية من هذه الحملات ورد فعلها تجاه فرنسا المحتلة؟.

خطة البحث:

وللإجابة على جملة التساؤلات وغيرها اتبعنا خطة بحث مكونة من **مدخل** تحت عنوان الخلفية التاريخية للعلاقات العثمانية الفرنسية مكونة من عنصرين:

- الأول عنوانه الأوضاع العامة قبيل التحالف العثماني الفرنسي.
- الثاني عنوانه استنجاد فرنسوا بالسلطان سليمان.



أما **الفصل الأول** قد قمنا بعنونته بـ الامتيازات الفرنسية في الدولة العثمانية وتتدرج ضمنه ستة عناصر:

- الأول بعنوان قاعدة الامتيازات 1536م.
- الثاني بالتعاون العثماني الفرنسي ضد إمبراطورية شارلكان.
- الثالث بعنوان تجدد معاهدات نظام الامتيازات.
- الرابع بالإصلاحات في الدولة العثمانية.
- الخامس بانعكاسات نظام الامتيازات.
- السادس بجهود الدولة العثمانية لإلغاء نظام الامتيازات.

و**الفصل الثاني** تحت عنوان الأطماع الفرنسية في المشرق العربي (مصر وبلاد الشام) و تتدرج ضمنه أربعة عناصر:

- الأول بعنوان جذور الحملة الفرنسية وأسبابها.
- الثاني بـ سير الحملة الفرنسية.
- الثالث رد فعل الدولة العثمانية اتجاه الحملة.
- الرابع فرنسا ومحمد علي باشا.

و**الفصل الثالث** أدرجناه تحت عنوان الأطماع الفرنسية في شمال إفريقيا (الجزائر نموذجا) ويتضمن أربعة عناصر:

- الأول بالعلاقات العثمانية الفرنسية ما بين (1805م – 1821م).
- والثاني بمشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر.
- الثالث بأسباب الاحتلال وسير الحملة.
- الرابع بالمواقف الدولية من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وفي الخاتمة خرجنا بعدة استنتاجات حول موضوعنا وأدرجنا فهرسة لقائمة المحتويات.

عرض المصادر والمراجع:

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على بعض **المصادر** القليلة لعل أهمها محمد فريد بك تاريخ الدولة العلية العثمانية الذي تناول جزء مهم من موضوعنا بنوع من الدقة، ويلماز أوزتونا في كتابه تاريخ الدولة العلية ،وعبد الرحمن بن حسن الجبرتي الذي تناول موضوع الحملة الفرنسية على مصر، ونقولا ترك أيضا في كتابه الحملة الفرنسية على مصر والشام.

وأيضا اعتمدنا على كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان إضافة إلى أرجمنت كوران الذي تناول بدقة وتفصيل في كتابه السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر موضوع رد فعل الدولة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر.

نضيف إلى هذا حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرآة، كما اعتمدنا أيضا على عدة **مراجع** أبرزها:

وديع أبو زيدون في كتابه تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط الذي تناول في كتابه الأحداث التي تخص الدولة العثمانية بنوع من التفصيل وا إسماعيل أحمد ياغي أيضا في كتابه العالم العربي في التاريخ الحديث إضافة إلى **مراجع** بعناوين أخرى له.

نضيف إلى هذا محمود شاكر التاريخ الإسلامي = العهد العثماني، ونضيف إليهم بعض **الرسائل الجامعية** مثل: العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالي لحماش خليفة إبراهيم وبعض **المجلات** مثل مجلة كان التاريخية تحت عنوان الدولة العثمانية ونقد نظرية الاستعمار عند جمال حمدان، إضافة إلى هذا فقد اعتمدنا على بعض **المعاجم** للمصطلحات مثل معجم المعارك التاريخية لـ: نجاة سليم محمود محاسيس.

صعوبات البحث:

ولا نخفي بعض الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز بحثنا هذا وهي قلة المصادر التي تتناول موضوع بحثنا، إضافة إلى طول الفترة الزمنية المدروسة في موضوعنا هذا

حوالي ثلاثة قرون فهي تتطلب مدة أطول للتفصيل في الأحداث والعلاقات بين هذين البلدين.

ولكن بعون الله أولا واجتهادنا ثانيا تمكنا بإذن الله أن نغطي جملة الأحداث الأساسية والعلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا.

مدخل:

الخلفية التاريخية للعلاقات العثمانية الفرنسية

1. الأوضاع العامة قبيل التحالف العثماني الفرنسي
2. استنجاد فرنسوا بالسلطان سليمان

3. الأوضاع العامة قبيل التحالف العثماني الفرنسي:

ظهرت خلال عصر النهضة عدد من الشخصيات التي كان لها اثر كبير على العلاقات الدولية وفي بناء الدولوا إقامة الإمبراطوريات، سواء في الشرق الإسلامي أو الغرب الأوروبي نذكر منهم: السلطان سليمان الملقب بالقانوني سلطان الدولة العثمانية وهو من عمالقة المسلمين وبناة الإمبراطوريات.

وشارل الخامس أو شارل كان إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة وملك اسبانيا[1]، والبلاالمنخفضة هولندا وا ٍمبراطور ألمانيا وحاكم أجزاء كبيرة من إيطاليا الجنوبية، وكانت جمهوريتا جنوه وفلورنسا تابعتين له ،وجمهورية البندقية طوع أمره، ومدينة وهران بإقليم الجزائر، كذلك جزيرة مينورقة وصقلية[2].

وقد اضطر شارل الخامس خلال حكمه لمواجهة أربعة أعداء ألداء هم: السلطان سليمان، بربروس خير الدين باشا، وفرنسوا الأول ومارتن لوثر صاحب حركة الإصلاح الديني، هذا الأخير الذي يعد ظهوره نعمة على العثمانيين[3].

وكان ينافس شارل الخامس على عرش الإمبراطورية المقدسة الملك فرنسوا الأول ملك فرنسا[4] كانت فرنسا في ذلك الوقت تتطلع إلى الاستيلاء على شمال إيطاليا لان حدودها في ذلك الوقت كانت أكثر ضيقا من ذي قبل وكثير من ولاياتها الشمالية خصوصا الشمالية الشرقية تحت حكم الألمان[5] مع وجود هولندا شمالها واسبانيا جنوبها والإمبراطورية الرومانية المقدسة على حدودها الشرقية[6].

(1) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العرب، (د ط)، القاهرة،(د س)، ص 129.

(2) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح : إحسان حقي، دار النفائس، ط1، لبنان، 1401هـ/ 1981م، ص 208.

(3) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العلية، تر: عدنان محمود سلمان، تح : محمود الأنصاري ،مؤسسة فيصل للتمويل، ط1، تركيا، 1408هـ/ 1988م المجلد الأول، ص 268.

(4) عبد العزيز سليمان نوا ر، المرجع السابق، ص 129.

(5) محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512- 1543)، تص : نصر الدين سعيدوني، الأصالة، ط2، الجزائر، 1434هـ/2012م، ص 29.

(6) ثريا الفاروقي، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، تر: حاتم الصحراوي، دار المدار الإسلامية، ط1، (د م ن)2008،ص85.

وكانت أملاك شارل الخامس محيطة بمملكة فرنسا من جميع الجهات إلا من جهة البحر [7].

عرف عصر سليمان القانوني (1520- 1566م) منافسة مريرة بين أسرتي "آل قالوا "على رأسهم "فرنسوا الأول" ملك فرنسا وأسره: "آل هابسبورغ" وعلى رأسهم شارل الخامس ملك اسبانيا من أجل تاج الإمبراطورية الرومانية المقدسة والمعروف أن الثاني قد فاز بعرش الإمبراطورية واكتسب بذلك سطوة جبارة جعلته يحتل مركز الصدارة في القارة الأوروبية وهذا ما أصاب كل من البابا " ليو العاشر" وفرنسوا الأول بالانزعاج[8].

وعمل فرنسوا لوحده على منازعة شارل الخامس على السيادة في أوروبا في الوقت الذي كانت فيه الدولة الأوروبية منهمكة في مشاكلها الداخلية ،فالبابوية كانت غارقة في خوفها من الدولة العثمانية وتشاركها في ذلك البندقية، كما كانت تواجه الانقسامات الكنسية وهذا ما وضع أوروبا في دروب الحروب الأهلية لأكثر من 1500عام أتيح خلالها للدولة العثمانية أن تتوسع في أوربا وشمال إفريقيا[9].

كما ساهمت الدولة العثمانية في مساندة المذهب البروتستانتي في أوروبا في عهد السلطان سليمان والذي تبادل مع أصحابه رسائل أوضح فيها التشابه بين البروتستانتية والإسلام[10].

تميز عهد السلطان سليمان القانوني بكونه يمثل الهرم بالنسبة لقوة الدولة العثمانية ومكانتها بين دول العالم آنذاك ويعتبر عصره العصر الذهبي حيث شهدت سنوات حكمه من 1520-1566م توسعا كبيرا لم يسبق له مثيل وأصبحت أقاليم الدولة العثمانية منتشرة في ثلاث قارات (إفريقيا، أوروبا، وأسيا).

---

(7) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص209 .

(8) محمد سهيل طقوس ،تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، ط3، بيروت، 14 1434هـ/2013م، ص 179.

(9) نفس المرجع ، ص 179.

(10) بيتر شوجر، أوروبا العثمانية 1354 هـ/1804م= في أصول الصراع في الصرب و البوسنة ،تر عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديدة ،ط1، القاهرة ،1998، ص 87.

كان لهذا التوسع أثره في دول العالم وبالأخص الدول الأوروبية التي كانت تعيش انقسامات سياسية ودينية خطيرة ولهذا تنوعت مواقف الدول الأوروبية من الدولة العثمانية حسب ظروف كل دولة[11].

فبالنسبة للدول المسيحية التي أصابها الضعف هناك مرجعان فقط: الإمبراطور والبابا ،وكانت قوة البابا العسكرية في ذلك الوقت محدودة إذ لم يكن يسيطر إلا على إيطاليا الوسطى فقط[12].

ولهذا رأى فرنسوا الأول أن يستفيد من مكانة وقوة الدولة العثمانية ويكسبها صديقا له، فوقف منها موقف التودد والرغبة في الوفاق معتقدا أن الدولة العثمانية هي التي ستحد من طموحات شارل الخامس[13].

لذلك من مصلحة فرنسا التحالف مع الدولة العثمانية[14]، لحمايتها من الخطر الإمبراطوري وكذلك أمراء ألمانيا والبروتستانتية[15]، وقد تحالفت الدولة العثمانية مع فرنسا بالذات على اعتبار أن العدو المشترك لهما هو شارل الخامس، وكان ذلك مظهرا من مظاهر التوازنات الدولية سواء في الشرق أو الغرب[16].

ولم يكن تنفيذ هذا التحالف بالأمر السهل لأن السياسة الأوروبية لم تكن قد تحررت يومئذ من طابعها النصراني وكانت أوروبا بسكانها وملوكها تنظران بعين الجزع إلى معسكرات العثمانيين في البلقان وفي مياه غربي المتوسط[17]، والحقيقة أن فرانسوا

(11) عيسى الحسن، الدولة العثمانية = عوامل البناء وأسباب الانهيار، الأهلية، ط1، الأردن، 2009، ص 139.

(12) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص 268.

(13)عيسى الحسن،الدولة العثمانية ،المرجع السابق، ص 139.

(14) فائقة محمد حمزة عبد الحميد بحري، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، إشراف: علي رابح الثقفي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية ، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية ،1409هـ/1989، ص 111.

(15) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 180.

(16) عبد العزيز سليمان نوا ر، المرجع السابق، ص 129.

(17) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 180.

كانت لديه الاستعدادات لأن يتصرف على النحو الذي يرضي جمهرة المسحيين ألا وهو المساهمة في إعداد حملة صليبية ضد السلطان العثماني وضد الإسلام والمسلمين.

لكن التطورات التي وقعت في أوروبا جعلته يغير من سياسته من التعاون مع الدول الكبرى الأوروبية صليبيا إلى التعاون مع السلطان سليمان(18).

يظهر من سعي فرنسا لدى الدولة العثمانية أنها أصبحت في القرن 10هـ/16م عنصر هاما لحفظ التوازن في أوروبا على الصعيد السياسي.

وكان للتحالف الفرنسي العثماني ضد شارل الخامس آثاره على الحروب العثمانية في المجر والنمسا من ناحية وفي البحر المتوسط من ناحية أخرى وبقدر ما ساعدت التوازنات الإسبانية الفرنسية الدولة العثمانية على تحقيق أهدافها بتوظيف هذه التوازنات، بقدر ما أثرت الحركة العثمانية ذاتها في مصير هذه التوازنات(19).

4. استنجاد فرنسوا بالسلطان سليمان:

كان فرنسوا الأول يسعى إلى ما كان يسعى إليه أسلافه الأقربون ونعني بذلك أن تكون الولايات الإيطالية تابعة لفرنسا أو على الأقل بعضها، إلا أن الدول الكبرى انزعجت من اجتياح القوات الفرنسية لشمال إيطاليا بشكل يؤدي إلى الإخلال بالتوازن الأوروبي، وتشكل حلف كبير على رأسه الإمبراطور شارل الخامس و أنزل هزيمة قاسية بالقوات الفرنسية في موقعة بافيا في 1525م(20).

---

(18) عبد العزيز سليمان نوا ر، المرجع السابق، ص 130.

(19) نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي = العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، (د ط)، (د م ن)،1401 هـ/1981م ، ج11 ، ص 24.

(20) عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 130.

وتعتبر معركة بافيا من أهم المعارك في التاريخ الأوروبي في القرن 16م وكانت كارثة بالنسبة لفرنسا نتيجة لفقدانها جيشا عظيما ووقوع ملكها أسيرا في أيدي الإمبراطور شارل الخامس[21].

سيق فرنسوا إلى مدريد وسجن في سجن(Alcazar) القصر وهو من مخلفات العرب في مدريد[22].

وأصبحت والدته وصية على العرش وعملت على إعادة بناء القوات المسلحة حتى لا تتعرض فرنسا لعملية غزو أجنبي[23].

فرضت على فرنسوا معاهدة مدريد في 14 جانفي 1526،ذات الشروط المجحفة لقاء إطلاق سراحه[24].

هذه المعاهدة التي ضيعت مكاسب ومكانة فرنسا كان من بين شروطها أن يشارك فرنسوا الأول في حملة صليبية ضد العثمانيين.

لكن فرنسوا قد صمم على التخلص من هذه المعاهدة على اعتبار أنها مفروضة عليه تحت حد السيف وقرر أن يخوض مواجهة عسكرية، لكن تبين له فيما بعد تحالفا يعقده مع السلطان العثماني يمكن أن يقدم خدمات كبرى لصالح فرنسا خلال الحرب[25]. وأثناء تواجد فرنسوا في الأسر في إسبانيا، كان أول سفير أرسل من قبل فرنسا إلى الباب العالي أرسلته "الملكة لويز" باعتبارها وصية على العرش[26].

(21) جلال يحي ، أوروبا في العصور الحديثة (الفجر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، الإسكندرية، 1981، ص 411.

(22) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص 268.

(23) جان برينجي وفيليب كون تامي وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام =منذ بداية القرن 14 وحتى نهاية القرن 18 ،تر: وجيه البعيني ،منشورات عويدات ،ط1، بيروت وباريس، 1995 م ،ج2 ، ص343

(24) قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية = قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، ط1، لبنان، 1444هـ/1994م، ص 18.

(25) عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 130.

(26) محمد الطاهر سحري، مختصر تاريخ الدولة العثمانية، مطبعة المعارف، ط1، الجزائر، 2008، ج 1، ص 144.

إلا أن هذا السفير لم يصل إلى الباب العالي بل قبض عليه حاكم البوسنة وقتل هو ومن معه، ثم أرسل سفير أخر هو"جان فرن جباني" كسفير إلى الباب العلي(27).

وصل إلى القسطنطينية مع جواب من ملك فرنسا إلى السلطان العثماني يطلب(28)، منه بكل تواضع مهاجمة المجر حليف الإمبراطورية الرومانية المقدسة لمنعه من تقديم المساعدة لشارل الخامس(29). ويمكن لفرنسا بعدها أن تنتصر على شارل الخامس وتسترد ما سلب منها في معركة بافيا(30).

اكتفى السلطان بكتاب من طرفه يعد فيه بالمساعدة(31)، وقد قابل السلطان السفير الفرنسي في 06 ديسمبر 1525م باحتفال وأجزل له العطايا(32).

وقد أجاب السلطان على طلب المساعدة حيث طمأن الملك الفرنسي بأن ما تعرض له ما هو إلا محنة عابرة(33).

وأراد السلطان سليمان الاستفادة من هذه الفرصة من أجل تسديد ضربة لمملكة النمسا وتشديد الخناق على دول أوروبا، ومما تجدر الإشارة إليه أن استعانة فرنسا بما لها من قوة وثقل كاثوليكي مسيحي في أوروبا بالدولة العثمانية المسلمة يعطي القارئ فكرة عما وصل إليه العثمانيون من قوة وصيت وعالمية في ذلك الوقت(34).

---

(27) محمد الطاهر سحري، المرجع السابق، ص 145.

(28) عزتلو يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مدبولي، ط1،القاهرة ،1990 م ص62.

(29) محمد الطاهر سحري، المرجع السابق، ص 145.

(30) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 209.

(31) منصور عبد الكريم، الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخلافة وسلاطين بني عثمان، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، القاهرة، 2013، ص 252.

(32) فائقة محمد حمزة، المرجع السابق، ص 11.

(33) جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، دار هومة، (د ط) ،الجزائر، 2010، ص 41.

(34) منصور عبد الكريم، المرجع السابق، ص 252.

وقد تم إطلاق سراح فرنسوا الأول بعد موافقته على شروط شارل الخامس وذلك بالتنازل عن بعض الولايات الخاضعة للنفوذ الفرنسي وبذلك أجهض مشروع السلطان سليمان في فتح بلاد المجر[35].

وقال على إثرها فرنسوا الأول لسفير البندقية انه أصبح يعتبر الدولة العثمانية هي الوحيدة القادرة على ضمان وجود الدول الأوروبية في وجه شارل الخامس ولقد رأى العثمانيون بدورهم أيضا أن التحالف مع الفرنسيين أفضل وسيلة لكي لا تسيطر قوة و احدة على أوربا وهكذا أصبح في 1526م في وسع سفير فرنسا أن يقول للسلطان العثماني إن حاكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة سيصبح "حاكم العالم فيما لو قبل فرنسوا الأول بشروطه"[36].

وفي 1529م نظم سليمان القانوني حملة على فيينا وضرب حصارا حولها ، إلا انه لم يوفق بسبب نقص في ذخيرة قواته ، وتخوفه من فصل الشتاء، كما أن فيينا تتميز بمتانة أسوارها، وبالرغم من تكرار سليمان لمحاولة فتح فيينا ولكنه لم يوفق،وانتهى الأمر بمصالحة بين سليمان [37] والإمبراطور شارل الخامس في 1533م أمنت له السيطرة على كل أراضي المجر[38].

وا ٍن لم يستطع السلطان العثماني تحقيق هدفه في فتح فيينا إلا أنه استطاع أن يصبح صاحب الكلمة العليا في شمال البلقان وأن يصبح سيد البحر المتوسط بفضل الأسطول العثماني وقائده خير الدين بربروسا الذي قدم مساعدات عسكرية هامة للجبهة الفرنسية[39].

---

(35) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 186.

(36) خليل إينا لجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد م.الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2002، ص 57، 58.

(37) ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، دار حامد للنشر والتوزيع، ط1،(د م ن)، 2008، ص 47.

(38) نفس المرجع ،ص47

(39) ميمونة حمزة المنصور، المرجع السابق، ص 47.

وفي 1531م كان سليمان يأمل بجر شار ل الخامس إلى موقعة حاسمة في قلعة كونز إلا أن اندريا دوريا تمكن من انتزاع ميناء " كورون" في المورة من العثمانيين،أدرك السلطان سليمان حينئذ أنه لابد من فتح جبهة ثانية في البحر المتوسط ،ولهذا وضع كل القوى البحرية العثمانية تحت قيادة البحار التركي المعروف وفاتح الجزائر خير الدين بربروس وأوصاه بالتحالف مع الفرنسيين ،ومنذ 1531م والفرنسيون يطلبون من سليمان القانوني الهجوم على إيطاليا بالإضافة إلى طلب تحالف رسمي والذي تحقق في 1536م[40].

لقد كان لهذا التحالف صدى مروعا في الأوساط المسيحية الأوروبية وآثار موجة من الاستياء العميق في عموم البلدان المسيحية الأوروبية، وحتى في فرنسا ذاتها ضد الملكية الفرنسية، لقد اعتبر التحالف عملا غير مشروع وغير طبيعي، وبالرغم من ردود الفعل السيئة فان الملكية الفرنسية قد جنت من ورائه مكاسب هامة مكنتها من تحسين وضعها والاستعداد تحت ظل ظروف أفضل لخوض مراحل الصراع المقبلة[41].

(40) عبد العزيز سليمان نوا ر، المرجع السابق، ص 131.

(41) جمال قنان، المرجع السابق، ص 48.

الفصل الأول:

الامتيازات الفرنسية في الدولة العثمانية

1. قاعدة الامتيازات 1536م
2. التعاون العثماني الفرنسي ضد إمبراطورية شارل كان
3. تجدد معاهدات نظام الامتيازات
4. الإصلاحات في الدولة العثمانية
5. انعكاسات نظام الامتيازات
6. جهود الدولة العثمانية لإلغاء نظام الامتيازات

7. قاعدة الامتيازات 1536م

بعد العمل العثماني الدئوب لحماية فرنسا ضد عمليات التوسع التي سعى لها شارل الخامس بدل أن يحصل السلطان العثماني على امتيازات من فرنسا حدث العكس، فقد توج التحالف العسكري والسياسي السابق بين الدولة العثمانية وفرنسا بهبة سلطانية في (1536م/ 943هـ)[42].

وهي تعرف بمعاهدة الامتيازات الأجنبية[43] أو Capitulasyam[44] والتي منحت على عهد السلطان العثماني[45] سليمان القانوني [46]. وهي في الأصل معاهدة للتعاون والصداقة موجهة ضد الهابسبورغ[47]. وهي تشبه المعاهدات التي سبق وعقدتها الدولة العثمانية مع البندقية وجنوه[48] في عهد السلطان محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية وذلك قصد تشجيع التجارة الخارجية مع أوروبا والشرق عموما[49].

أرسل فرنسوا الأول في عام 1536 سفيرا جديدا إلى السلطان سليمان هو "جان دي لافوري"، واجتمع السفير بالسلطان في "أذربيجان" أثناء زحفه على مدينة "تبريز" للمرة

(42) قيس جواد العزاوي ، المرجع السابق، ص 18.

(43) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، (د م ن)، 1998 ،ص 68.

(44) وليد صبحي العريض ، تاريخ الدولة العثمانية= التاريخ السياسي والإداري ودراسات تاريخية، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1،(د م ن)،2012م، ص 294.

(45) إكمال الدين إحسان أوغلي ،الدولة العثمانية تاريخ وحضارة :ترك صالح سعداوي، مركز الأبحاث والقوة الإسلامية،(د ط)،اسطنبول، 1999، ص 227.

(46) ولد في 900هـ وتولى زمام السلطة عام 926هـ، لقب بالقانوني، توفي بـ: 974هـ، وبقي في السلطة 48 سنة، انظر:عزتلو يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان، ص61.

(47) صلاح أحمد هريدي ، الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصر العثماني = دراسات وثائقية من سجلات المحكمة الشرعية (923- 1213هـ) (1517- 1798م) ،دار المعرفة الجامعية، (د ط) ،الإسكندرية، 1989، ص 20- 21.

(48) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص 68.

(49) قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 19.

الثانية[50] أكد الطرفان حالة السلم والوئام القائم بينهما والذي سيدوم بين الدولتين على مدى حياة العاهلين في جميع الأراضي والأقاليم التابعة للدولة العثمانية[51].

وهي تعد محاولة من ملك فرنسا لإقناع السلطان العثماني بالاشتراك في حملة عسكرية ضد شارل الخامس[52].

وتم إصدار مرسوم عثماني يمنح فيه امتيازات[53] للرعايا الفرنسيين المتواجدين بكل الأراضي الخاضعة للسلطنة العثمانية[54]، وذلك لتنمية فرنسا عسكريا واقتصاديا والحيلولة دون وقوعها لقمة سائغة في يد ألمانيا واسبانيا[55].

وكان القصد من وراءها عرقلة قيام حلف مقدس يعقده العالم الكاثوليكي الأوروبي ضد الدولة العثمانية ذات السياسة الإسلامية ،فحصل بذلك السلطان على حليف له في أوروبا ضد اسبانيا وألمانيا[56]، وهذا نص هذه المعاهدة مترجمة من مجموعة البارون دي تستا الموجودة في الكتخانة[57].

ليكن معلوما لدى العموم أنه في شهر فيفري 1536م اتفق بمدينة الأستانة العلية كل من "المسيو دي لافوري" مستشار وسفير صاحب السعادة الأمير فرنسوا الأول المتعمق في المسيحية ملك فرنسا المعين لدى الملك العظيم ذي القوة و النصر السلطان سليمان خاقان الترك إلى آخر ألقابه والأمير الجليل ذي البطش الشديد سر عسكر

---

(50) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 196.

(51) جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص 44.

(52) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 196.

(53) هي الحقوق والميزات التي منحها السلاطين العثمانيين للدول الأجنبية ورعاياها على أراضي الدولة العثمانية في فترات مختلفة أو تلك التي حصل عليها الأجانب نتيجة لضغوطهم السياسية والاقتصادية على الدولة في عهود ضعفها وانحطاطها، (انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص 32).

(54) محمد الطاهر سحري، المرجع السابق، ص 158.

(55) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص 300.

(56) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 223.

(57) محمد الطاهر سحري، المرجع السابق، ص 158.

السلطان بعد أن تباحثا في مضمار الحرب وما ينشأ عنها من المصائب وما يترتب عن السلم من الراحة والطمأنينة(58) من أهم نصوصها:

1. **البند الأول:** قد تعاهد المتعاقدان بالنيابة عن جلالة الخليفة الأعظم وملك فرنسا على السلم الأكيد والوفاق الصادق مدة حياتهما وفي جميع الممالك والولايات والحصون والمدن والموانئ والثغور والبحار وفي جميع الأماكن المملوكة لهم الآن أو التي تدخل في حوزتهم فيما بعد، بحيث يجوز لرعياها وتبيعيها الصفر بحرا بمراكب مسلحة أو غير مسلحة والتجول في بلاد الطرف الآخر والمجيء إليها والإقامة بها أو الرجوع إلى الثغور والمدن أو غيرها بقصد الاتجار على حسب رغبتهم بكامل الحرية بدون أن يحصل لهم أدنى تعد عليهم أو على متاجرهم.
2. **البند الثاني:** يجوز لرعايا وتابعي الطرفين البيع والشراء والمبادلة في السلع كافة غير الممنوع الاتجار فيها ونقلها برا وبحر من مملكة إلى أخرى مع دفع العوائد والضرائب المعتادة قديما بحيث يدفع الفرنساوي في البلاد العثمانية ما يدفعه الأتراك ويدفع الأتراك في البلاد الفرنسية ما يدفعه الفرنسيون بدون أن يدفع أي الطرفين عوائد أو ضرائب أو موكوس أخرى.
3. **البند الثالث:** كلما يعين ملك فرنسا قنصلا جديدا في مدينة القسطنطينية أو غيرها من مدائن المملكة العثمانية كالقنصل المعين الآن من مدينة الإسكندرية يصير قبوله ومعاملته بكيفية لائقة ويكون له أن يسمع ويحكم ويقطع بمقتضى قانونه في جميع ما يقع في دائرته من القضايا المدنية والجنائية بين رعايا ملك فرنسا بدون أن يمنعه من ذلك حاكم أو قاض شرعي أو أي موظف آخر ولكن لو امتنع أحد رعايا الملك عن إطاعة أوامر أو أحكام القنصل فله أن يستعين بموظفي جلالة السلطان على تنفيذها، وعليهم مساعدته ومعاونته وعلى أي حال ليس للقاضي الشرعي أو أي موظف آخر

(58) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 224، 225.

أن يحكم في المنازعات التي تقع بين التجار الفرنسيين وبين باقي رعايا فرنسا حتى لو طلبوا منه الحكم بينهم وا ٍن أصدر حكما في مثل هذه الأحوال يكون حكمه ملغى لا يعمل به مطلقا.

4. **البند الرابع:** لا يجور سماع الدعاوى المدنية التي يقيمها الأتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا جلالة السلطان ضد التجار من فرنسا أو غيرهم أو الحكم عليهم فيها ما لم يكن مع المدعين سندات لخط المدعي عليهم أو حجة رسمية صادرة من القاضي الشرعي أو القنصل الفرنساوي وفي حالة وجود سندات أو حجج لا تسمع الدعاوى أو شهادة مقدمها إلا بحضور ترجمان القنصل.

5. **البند الخامس:** ولا يجوز للقضاة الشرعيين أو غيرهم من مأموري الحكومة العثمانية سماع أي دعوة جنائية أو الحكم ضد تجار ورعايا فرنسا بناء على شكوى الأتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا الدولة العلية بل على القاضي أو المأمور الذي ترفع إليه الشكوى أن يدعوا المتهمين بالحضور بالباب العالي محل إقامة الصدر الأعظم الرسمي.

وفي حالة عدم وجود الباب المشار إليه يدعوهم أمام أكبر مأموري الحكومة السلطانية هناك يجوز قبول شهادة جابي الخراج والشخص الفرنسي ضد بعضهما.

6. **البند السادس:** لا يجوز محاكمة التجار الفرنسيين ومستخدميهم فيما يختص بالمسائل الدينية أمام القاضي أو السنجق بك أو السوباشي (مدير الشرطة) أو غيرهم من المأمورين بل تكون محاكمتهم أمام الباب العالي، ومن جهة أخرى يكون مصرحا لهم بإتباع شعائرهم الدينية ولا يمكن إجبارهم على الإسلام أو اعتبارهم مسلمين ما لم يقروا بذلك غير مكرهين[59].

(59) محمد فريد بك، نفس المصدر، ص 225، 226.

7. **البند السابع:** لو تعاقد واحد أو أكثر من رعايا فرنسا مع احد العثمانيين أو أشترى منه بضائع أو استدان منه نقودا ثم خرج من الممالك العثمانية قبل أن يقوم بما تعهد به فلا يسأل القنصل أو أقارب الغائب أو أي شخص فرنسي آخر عن ذلك مطلقا، وكذلك لا يكون ملك فرنسا ملزما بشيء بل عليه أن يوفي طلب المدعي من شخص المدعي عليه أو أملاكه لو وجدت بأراضي الدولة الفرنسية أو كان له أملاك بها.
8. **البند الثامن:** لا يجوز استخدام التجار الفرنسيين أو مستخدميهم أو خدامهم أو سفنهم أو قواربهم أو ما يوجد بها من اللوازم أو المدافع أو الذخائر أو التجارة جبرا عنهم في خدمة جلالة السلطان الأعظم أو غيره في البر والبحر ما لم يمكن ذلك بطوعهم واختيارهم.
9. **البند التاسع:** يكون لتجار فرنسا ورعاياهم الحق في التصرف في متعلقاتهم كافة بالوصية بعد موتهم، وعند وفات أحد منهم وفاة طبيعية أو قهرية عن وصية وتوزع أمواله وباقي ممتلكاته على حسب ما جاء بها ولو توفي ولم يوصي فتسلم تركته إلى وارثه أو الوكيل عنه بمعرفة القنصل إذا كان في مجال وفاته القنصل وا ٕلا فتحفظ التركة بمعرفة قاضي الجهة، بعد أن تعمل بها قائمة جرد على يد شهود أما لو كانت الوفاة في جهة بها قنصل فلا يكون للقاضي أو مأمور بيت المال حق في ضبط التركة مطلقا، ولو سبق ضبطها لمعرفة أحد منهم يصير تسليمها إلى القنصل أو من ينوب عنه إذا طلبها الوارث أو وكيله وعلى القنصل توصيلها وتسليمها إلى صاحب الحق فيها[60].
10. **البند العاشر:** بمجرد اعتماد جلالة السلطان ملك فرنسا لهذه المعاهدة فجميع رعاياها الموجودين عندها أو عند تابعيهما أو على مراكبهما أو سفنهما أو في أي محل أو إقليم تابع لسلطتهما في حال الرق، سواء أكان ذلك بشرائهم أو بأسرهم وقت

---

(60) محمد فريد بك، نفس المصدر، ص 226، 227.

الحرب، يصير إخراجهم فورا من حالة الاسترقاق إلى بحبوحة الحرية بمجرد طلب وتقرير السفير أو القنصل أو أي شخص آخر معين بهذا الخصوص ولو كان أحدهم قد غير دينه ومعتقده فلا يكون ذلك مانعا لإطلاق سراحه ومن الآن فصاعدا لا يجوز لجلالة السلطان أو ملك فرنسا ولا لقبودانات (أمراء) البحر ورجال الحرب وأي شخص آخر تابع لأحدهما، أو لمن يستأجرونهم سواء في البر والبحر اخذ أو شراء أو بيع أو حجز أسراء الحرب بصفة أرقاء ولو تجاسر قرصانا أو غيره من رعايا إحدى الدولتين المتعاقدتين على أخذ أحد رعايا الطرف الآخر أو أخذ أملاكه أو أمواله أو يصير أخبار حاكم الجهة وعليه ضبط الفاعل ومعاقبته على مخالفته شروط الصلح عبرة لغيره ورد ما يوجد عنده من الأشياء المأخوذة إلى من أخذت منه إذا لم يضبط الفاعل فيمنع هو وجميع شركائه من الدخول إلى البلاد وتضبط ممتلكاته لجانب الحكومة التابع إليها ويصير التعويض على ماحصل له من الضرر مما يصادر من أملاك الجاني وهذا لا يمنع من مجازاته لو صار ضبطه فيما بعد، وللمجني عليه أن يستعين على الحصول على ذلك بضامني هذا الصلح وهم سر عسكر (هو قائد الجيش) عن الجانب السلطاني وأكبر القضاة عن ملك فرنسا.

11. **البند الحادي عشر:** لو تقابلت دونانمات (أساطيل) إحدى الدولتين المتعاقدتين ببعض مراكب رعايا الدولة الأخرى فعلى هذه المراكب تنزيل قلوعها ورفع أعلام دولتها حتى إذا علمت حقيقتها لا تحجزها أو تضايقها السفن الحربية أو أي تابع آخر للدولة صاحبة الدونانمة وإذا حصل ضرر لأحدهما فعلى الملك صاحب الدونانمة تعويض هذا الضرر فورا وإذا تقابلت سفن رعايا الدولتين فعليها رفع العلم وإبداء السلام بطلقة مدفع والمجاوبة بالصدق لو سأل ربانها عن الدولة التابع إليها ولما تعلم حقيقتها لا يجوز لإحداها آن تفتش الأخرى بالقوة أو تسبب لها أي عائق كان[61].

(61) محمد فريد بك، نفس المصدر، ص 227، 228.

12. **البند الثاني عشر:** إذا وصلت إحدى المراكب الفرنساوية سواء بطريق الصدفة أو غيرها إلى إحدى موانئ أو شطوط الدولة العلية تعطى ما يلزمها من المأكولات وغيرها من الأشياء مقابل دفع الثمن المناسب بدون إلزامها تفريغ ما بها من البضائع لدفع الأثمان ثم يباح لها الذهاب أينما تريد وا ٕذا وصلت إلى الأستانة وأرادت السفر منها بعد الاستحضار على جواز الخرو ج من أمين الجمرك ودفع الرسم اللازم وتفتيشها بمعرفة الأمين المشار إليه فلا يجوز ولا يمكن تفتيشها في أي محل آخر إلا عند الحصون المقامة بمدخل بوغاز غاليبولي (مضيق الدردنيل) بدون دفع شيء مطلقا لا عند البوغاز ولا في مكان آخر عند خروجها خلاف ما صار دفعه سواء كان الطلب باسم جلالة السلطان أو أحد مأموريه.

13. **البند الثالث عشر:** لو كسرت أو أغرقت مراكب إحدى الدولتين بالصدفة أو غيرها عند البلاد التابعة للطرف الآخر فمن ينجو من هذا الخطر يبقى متمتعا بحريته لا يمانع في أخذ ما يكون له من الأمتعة وغيرها أما لو غرق جميع من بها يمكن تخليصه من البضائع يسلم إلى القنصل أو نائبه لتسليمها لأربابها بدون أن يأخذ القبودان باشا أو السنجق بيك أو الصوباشي أو القاضي وغيرهم من مأموري الدولة أو رعاياها شيئا منها، وا ٕلا فيعاقب من يرتكب ذلك بأشد العقاب وعلى هؤلاء المأمورين أن يساعدوا من يخصص لاستلام الأشياء المذكورة.

14. **البند الرابع عشر:** لو هرب أحد الأرقاء المملوكين لأحد العثمانيين واحتمى في بيت أو مركب أحد الفرنساويين فلا يجبر الفرنساوي إلا على البحث عنه في بيته أو مركبه ولو وجد عنده يعاقب الفرنساوي بمعرفة قنصله ويرد الرقيق لسيده إذا لم يوجد الرقيق بدار أو مركب الفرنساوي فلا يسأل عن ذلك مطلقا[62].

---

(62) محمد فريد بك، نفس المصدر، ص 228، 229.

15. **البند الخامس عشر:** كل تابع لملك فرنسا إذا لم يكن أقام بأراضي الدولة العلية مدة عشر سنوات كاملة بدون انقطاع لا يلزم بدفع الخراج أو أية ضريبة أيا كان اسمها ولا يلزم بحراسة الأراضي المجاورة أو مخازن جلالة السلطان ولا بالشغل في الترسانة (دار صناعة السفن) أو أي عمل آخر، وكذلك تكون معاملة رعايا الدولة في بلاد فرنسا بالمثل.

وقد اشترط ملك فرنسا أن يكون للبابا وملك إنجلترا أخيه وحليفه الأبدي ومللك ايقوسيا وبلاد سكوتلند Ecosse الحق في الاشتراك لنافع هذه المعاهدة لو أرادوا بشرط أنهم يبلغون تصديقهم عليها إلى جلالة السلطان ويطلب منه اعتماد ذلك في ظرف ثمانية شهور تمضي من هذا اليوم

16. **البند السادس عشر:** يرسل كل من جلالة السلطان وملك فرنسا تصديقه للآخر على هذه المعاهدة في ظرف ستة شهور تمضي من تاريخ إمضائها مع الوعد من كليهما بالمحافظة عليها والتنبيه على جميع العمال والقضاة والمأمورون وجميع الرعايا بمراعاة كامل نصوصها بكل دقة، ولكي لا يدعي أحد الجهل بهذه المعاهدة يصير نشر صورتها في الأستانة والإسكندرية ومصر ومرسيليا وفي جميع الأماكن المشهورة في البر والبحر التابعة لكل من الطرفين انتهت المعاهدة(63).

وبذلك صارت فرنسا أول دولة أروبية تحصل على مثل هذه الامتيازات لرعاياها(64) ويلاحظ في هذه المعاهدة أنها مؤلفة من قسمين منفصلين، معاهدة تجارية ومعاهدة إقامة، ويرى بعض المؤرخون أنها نظام جديد في العلاقات بين الدول وفي

(63) محمد فريد بك، نفس المصدر، ص 229.

(64) نفس المصدر، ص 290.

طريقة معاملة الأجانب[65] فقد اعترفت الدولة العثمانية لفرنسا بالأفضلية في كافة المجالات تقريبا[66].

باشرت فرنسا بعد هذه المعاهدة في تخصيص السفن التجارية لنقل البضائع والأقمشة والمصنوعات والحرير والبهارات[67] وبذلك صارت فرنسا ملكة التجارة في البحر المتوسط، وتم على إثرها إرسال بعثات دينية تبشيرية كاثوليكية عدة إلى كافة البلاد الموجود بها مسيحيون خصوصا في بلاد الشام ومصر[68] وبذلك استطاعت فرنسا تأمين الحماية لجميع المواطنين الأجانب الموجودين في المنطقة الشرقية لتحقيق أهداف رسمتها لنفسها[69] كما أن الفرنسيين قاموا بإنشاء المدارس والمعاهد والكنائس وكانت لهم حريتهم في ممارسة شعائرهم الدينية[70].

وسمح لهم ببناء خان يقيمون فيه دون سواهم ويودعون فيه بضائعهم على أن تخصص بجوار الخان أرض لدفن موتاهم إلى غير ذلك من الامتيازات،وبذلك استمر تغلغل الفرنسيين بقوة داخل الدولة العثمانية[71].

كما ضمنت المعاهدة إطلاق سراح الأسرى العثمانيين أو الفرنسيين في كلا البلدين ولا يجوز الاعتداء على أملاك أي من رعايا الدولتين وا إعادة الأموال المصادرة من القراصنة من رعايا الدولتين[72].

---

(65) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 197.

(66) إكمال الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص 228.

(67) فائقة محمد حمزة ،المرجع السابق، ص 112.

(68) قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 21.

(69) وليد صبحي العريض ،المرجع السابق، ص 300.

(70) اشرف صالح محمد السيد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث ،دار ناشري للنشر الالكتروني، ط1، الكويت ،2009 ،ص 158

(71) صلاح أحمد هريدي ، المرجع السابق، ص 21.

(72) عدنان العطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، ،دار الوحي القلم، ط1، (د م ن)، 2006، ص 64.

واستفاد كذلك التجار الأوروبيين وخاصة الانجليز والهولنديين من الامتيازات وذلك تحت راية العلم الفرنسي[73].

هذه الامتيازات التي أعطيت لفرنسا كانت أول مسمار يدق في نعش الدولة العثمانية[74] كون هذه المعاهدات لم تنص على مبدأ هام وأساسي في العلاقات العثمانية الأوروبية وهو متعلق بمبدأ المعاملة بالمثل[75].

فعلى النقيض من الامتيازات والحقوق التي منحت للفرنسيين فإن التجار العثمانيين لم تكن لهم مثل تلك الامتيازات في فرنسا ولا يحق لهم ممارسة شعائرهم الدينية على نمط مساوي مع الفرنسيين المقيمين في الدولة العثمانية[76].

لكن رغم ذلك، يمكن القول أن الدولة العثمانية قد استفادت من تقديم الامتيازات لفرنسا كونها في حاجة إلى دولة أوروبية تتعاون معها في مواجهة التطورات التي تحصل في أوروبا الغربية[77].

كذلك من المصلحة العثمانية أن يضع الإمبراطور شارل الخامس في حساباته باستمرار أن الدولتين متحالفتين ضده وهي ضمان لعدم اشتراك فرنسا في العمليات البحرية المسيحية التي يقودها شارل الخامس ضد الدولة العثمانية في البحر المتوسط في شمال إفريقيا وخاصة ضد بكلير بكية الجزائر[78].

أصبحت سياسة التحالف الفرنسي مع الدولة العثمانية التي وضعها فرنسوا الأول أشبه بالسياسة التقليدية لفرنسا اتبعها كل من هنري الثاني ولويس الرابع عشر[79]وا ٍن

---

(73) خليل إينالجيك ، المرجع السابق، ص 214.

(74) محمد علي الصلابي،الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، شركة الأمل، ط1، (د م ن) 1421هـ/ 2001م، ص 205.

(75) جمال قنان ،معاهدات الجزائر مع فرنسا،المرجع السابق، ص 45.

(76) فائقة محمد حمزة، المرجع السابق، ص 113.

(77) قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 22.

(78)عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 132.

(79) عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 132.

كانت العلاقات مع الدول المجاورة تتميز بالصعوبات العديدة التي يتم تخطيها بصورة مؤقتة، فإنها كانت تعتبر طيبة مع فرنسا[80].

وبعد فشل شارل الخامس في السيطرة على الجزائر، كان السلطان سليمان يود ضم البندقية للحلف التركي الفرنسي، إلا أنه نجح في تحييدهم دون ضمهم ، كان هدفه من وراء هذا أن يمنع أي تحالف بين البندقية والإمبراطور شارل كان[81].

8. التعاون العثماني الفرنسي ضد امراطورية شارل كان

تلا توقيع معاهدة 1536 عقد حلف بين فرنسوا الأول وسليمان القانوني في مواجهة أسرة آلـ هابسبورغ على أن يبقى أمره في طي الكتمان حتى لا يتعرض العاهلان لسخط شعبيهما في وقت كان يسوده التعصب الديني[82].

وجرى حينئذ الاتفاق على أن يسيطر الفرنسيون على شمال إيطاليا بينما يفتح العثمانيون جنوبها[83]، فاستجاب السلطان سليمان لطلب فرنسوا في ماي 1537 وأنفذ حملته العسكرية وذلك لتخفيف الضغط على القوات الفرنسية، واستولى الأسطول على ميناء"قلوبا" في البحر الأيوني[84] وقام من هناك بحصار على موانئ البندقية وجزيرة كورفو[85] وتصدى للأسطول العثماني القائد "أندري دوريا" وهو قائد القوات البحرية الإسبانية[86]، ومع أن قسما من الجيش الفرنسي قد جاء لتقديم المساعدة[87] إلا أنه تلقى

---

(80) روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ،القاهرة، 1993، ج1 ص 227.

(81) أحمد فؤاد متولي ،تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ،ابتراك للنشر والتوزيع ،(د ط)،القاهرة ،2005، ص 263.

(82) أحمد عبد الرحيم مصطفى ،أصول التاريخ العثماني، دار الشرق ،ط1،القاهرة،1402 هـ/ 1982،ص 95.

(83) خليل إينا لجيك ،المرجع السابق، ص 59.

(84) عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو مصرية، (د ط) ،القاهرة، (د س)، ج2، ص 168.

(85) خليل إينا لجيك،المرجع السابق، ص 60.

(86) عبد العزيز محمد الشناوي،المرجع السابق، ص 168.

(87) خليل أينا لجيك ،المرجع السابق، ص 60.

الهزيمة في المرحلة الأولى، ولكن سرعان ما تفوق خير الدين بربروس على القوات الإسبانية والقائد أندريا دوريا .

في 1538 تشكل حلف صليبي دولي تكون من الإمبراطورية الرومانية المقدسة وجمهورية البندقية والبابوية، وتلاقت أساطيل هذا الحلف في ميناء بريفيزا، جنوبي جزيرة كورفو ضد الدولة العثمانية فلجأ خير الدين بربروس إلى الحيلة للقضاء عليهم وتمكن من تحقيق الانتصار[(88)].

وفي نفس السنة تقدم الفرنسيون في شمال إيطاليا للاستيلاء على ميلانو وجنوه في الوقت الذي بدأ فيه بربروس سلسلة من الغارات على أملاك الهابسبورغ في غربي المتوسط ووسطه وكان السلطان سليمان قد أعد جيشا قوامه 300.000 جندي ونقله خير الدين بربروس إلى إيطاليا جنوبا[(89)]، لكن إحجام فرنسا عن التقدم[(90)] نتيجة هياج الرأي العام المسيحي ضد التحالف الفرنساوي العثماني خشية أن يرمى بالمروق من دينه المسيحي بالتحالف مع دولة إسلامية لمحاربة دولة تدين بدينه[(91)].

وتدخل البابا بين فرنسوا وملك النمسا لعقد صلح تمهيدا لتوحيد أوروبا ضد العثمانيين وما وعد به فرنسوا الأول بالمشاركة في حملة ضد العثمانيين[(92)].

وقد تم عقد الصلح بين فرنسوا وشارل كان في 1538[(93)]. هذا ما أدى إلى عدم نجاح مشروع الحملة ،وعمل فرنسوا بعدها على محاولة لعقد هدنة بين السلطان سليمان وشارل الخامس وكتب في 1539 خطابا لسليمان القانوني فجاوبه أنه لا يهادنه إلا إذا رد له أي لملك فرنسا جميع القلاع والحصون التي فتحها لكن ذلك قوبل بالرفض من قبل

---

(88) عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 169.

(89) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ،المرجع السابق، ص 69.

(90) محمد فريد بك ،المصدر السابق، ص 235.

(91) نور الدين حاطوم، موسوعة التاريخ الحديث = تاريخ عصر النهضة ،دار الفكر،(د ط) ،.سوريا، 1968 ،ص341

(92) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص 69.

(93) خليل أينا لجيك ،المرجع السابق، ص 60.

شارل كان هذا ما أدى إلى فتور العلاقات بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الرومانية وصارت الحرب بينهما قاب قوسين أو أكثر[94].

وفي 1543م- 950هـ طلب ملك فرنسا من جديد مساعدة السلطان سليمان[95] على محاربة شارل كان بأسطوله وقائده خير الدين[96]. فتردد السلطان في بادئ الأمر بفعل عدم ثبات ملك فرنسا في المرات السابقة[97] لكن وعلى الرغم من علم السلطان بالسياسة المزدوجة التي تتعامل بها فرنسا مع الدولة العثمانية فقد وافق السلطان على تقديم المساعدة[98] بناءا على إلحاح السفير الفرنسي "المسيو بولان" وتشجيع بربروس له[99]، وبخاصة بعد علمه بمهاجمة شارل كان بجيوشه لمدينة الجزائر وارتداده عنها خائبا في 31 أكتوبر 1541[100].

وهكذا خرج الأسطول العثماني تحت قيادة خير الدين بربروس من ميناء الأستانة ومعه السفير الفرنسي بولان لمساعدة الفرنسيين على تخليص ميناء نيس من قوات شارل كان[101].

ووصل إلى ميناء مرسيليا إحدى مدن فرنسا الجنوبية بعد أن غزا في طريقه جزيرة صقلية[102].

---

(94) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 238.

(95) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ،المرجع السابق، ص 71.

(96) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 237.

(97) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 202.

(98) سيد محمد السيد، تاريخ الدولة العثمانية [النشأة- الازدهار] = وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 1428هـ/ 2007م، ص 279.

(99) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 202.

(100) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 237.

(101)يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ،دار الهدى، (د ط)، الجزائر، 2009،ج1، ص 338.

(102) محمد فريد بك ، المصدر السابق، ص 237.

تمكن بعدها من الوصول إلى" ريجيو" بالقرب من نابولي وتمكن من فتحها وتوجه إلى ميناء "أوستيا" في روما.

وفي جويلية (تموز) 1543 هناك انضم إليه الدوق أنجهين تحت قيادة إمارة بأربعين سفينة[103].

وانتقل بعدها إلى غربي المتوسط ودخل الأسطول إلى ميناء طولون قاعدة الأدميرالية البحرية الفرنسية في البحر الأبيض[104].

وتقدم السلطان العثماني بدوره نحو الغرب ،فتح مدن قالبو في الضفة الغربية لنهر الدانوب وسيكلس وغران العاصمة الروحية للمجر[105].

وبعد أن استقبل الأسطول العثماني بقيادة خير الدين استقبالا رسميا[106]، ورفعت السفن الرسمية العلم التركي وأطلقت مدافعها مرحبة بها ودخل الأسطول الفرنسي تحت إمرة قائد القوات البحرية واستقبله فرنسوا الأول استقبال الملوك لأنه كان يعد في أوروبا ملكا على الجزائر[107]، ومن ثم توجه الأسطول إلى قلعة نيس[108]، وكانت تابعة للدوق "سافوا" حليف شارل كان[109].

لكن تعذر على العثمانيين والفرنسيين فتح الحصن واشتبكوا في معركة ضد أندري دوريا[110]، وتمت محاصرتها من جهة البحر، وفتحة عنوة في21 جمادى الأولى سنة 950هـ/ 22 (أغسطس) أوت 1546م[111].

---

(103) سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص 279.

(104) محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 171.

(105) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص 302.

(106) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 202.

(107) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص 302.

(108) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 237.

(109) أحمد فؤاد متولي، المرجع السابق، ص 263.

(110) عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 172.

(111) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 237.

ترك بربروس الأسطول العثماني في غرب البحر المتوسط وقبل عودته إلى اسطنبول أمر الأسطول بضرب سواحل إسبانيا وسردينيا[112]، وبعدها قضى بربروسا فصل الشتاء في ميناء طولون بفرنسا فتحول إلى قاعدة بحرية إسلامية عثمانية برضاء وموافقة السلطات الفرنسية في 08 سبتمبر 1543م[113].

توصل بعدها ملك فرنسا إلى اتفاقية مع شارل الخامس نتيجة لرد الفعل السلبي الذي أظهرته معظم البلاطات الأوروبية والسياسيون ضد التحالف[114].

وتم توقيع معاهدة كرسي في (951هـ/1544م) بين فرنسوا وشارل الخامس[115] فلم يستطع بذلك ملك فرنسا أن يلتزم بالعهد مع الدولة العثمانية فاضطر إلى التراجع[116]. لهذا عمد بربروسا إلى احتلال طولون و نيس وخرب سواحل إيطاليا وفرنسا[117] وعاد بعدها إلى اسطنبول مصطحبا معه نحو 400 من رجال التجديف الذين عملوا في الأسطول الفرنسي في عام (1544م/ 951هـ) [118]، وكان هذا العمل آخر أعمال خير الدين بربروس وظل في اسطنبول حتى توفي في (1546م/ 953هـ) [119].

ولو أن الحملة المشتركة تمت كما خطط لها لأصبحت إيطاليا ولاية عثمانية[120] وهذا الموقف من دول أوروبا وبخاصة فرنسا يثبت أن ملة الكفر واحدة وأن فكرة محالفة الفرنسيين للعثمانيين كانت بدون قيمة[121].

---

(112) أحمد فؤاد متولي، المرجع السابق، ص 264.

(113) عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 172.

(114) ثريا الفاروقي ،المرجع السابق، ص 86.

(115) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص202.

(116) إبراهيم حسنين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، (د ط)، الإسكندرية، 2014، ص 247.

(117) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ،المرجع السابق، ص 71.

(118) سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص 279.

(119) عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 173.

(120) منصور عبد الكريم، المرجع السابق، ص 253.

(121) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ،المرجع السابق، ص 279.

والحقيقة التاريخية تقول أنه لا يمكن للصليبيين أعداء الإسلام أن يتخلى بعضهم عن بعض وا ٍن كانوا مختلفين ظاهريا تبعا للمصالح و الأهواء، فلا أخلاق ولا مواثيق لهم في تعاملهم مع المسلمين[122].

9. تجدد معاهدات نظام الامتيازات:

بعد موت الملك فرنسوا الأول حذا ابنه هنري الثاني حذوه في موالاته للدولة العلية والمحافظة على محبتها وتوثيق الألفة والإتحاد معها للاستعانة بها عند الحاجة، فأبقى على" مسيو درا سون" كسفير لفرنسا في الدولة العثمانية وأمره بمرافقة السلطان في حملته الأخيرة على بلاد العجم، وفي عودته زار بيت المقدس وقابل الرهبان والقساوسة اللذين أيدوا المعاهدات السابقة القاضية بجعل جميع الكاثوليك المستوطنين بأراضي الدولة العثمانية تحت حماية فرنسا[123].

وفي أثناء ذلك اندلعت الحرب بين النمسا وفرنسا ثانية فعاد السفير إلى القسطنطينية واتفق مع السلطان على أن يتحد الأسطول العثماني مع الفرنسي لفتح جزيرة كورسيكا عقابا لأهالي جنوه المحتلين لها وعلى مساعداتهم لشارل كان، ولتكون قاعدة للأسطول المشترك لغزو سواحل إسبانيا وا ٍيطاليا وبذلك أبرمت معاهدة بتاريخ 16 صفر 960هـ/ أول فيفري 1553م[124] ضمت 09 بنود هدفها توحيد النشاط البحري، نتيجة لذلك تعاونت البحريتان في مهاجمة سواحل كلبريا وجزيرة صقلية وكورسيكا في 1555م، كان هذا التعاون هو الأخير بين الدولتين نتيجة لتغير الظروف على المسرح الدولي منها نشوب حرب القرم[125].

---

(122) إبراهيم حسنين، المرجع السابق، ص 247.

(123) محمد الطاهر سحري، المرجع السابق، ص 183.

(124) فاطمة علي عبد الله العواد، العلاقات العثمانية الفرنسية 926 -974 هـ /1520 -1566م= دراسة وثائقية ،إشر اف عبد الله سراج منسي، (د م ن) ،(دس ن) ،ص 7.

(125) محمد سهيل طقوس،المرجع السابق، ص 204.

في 1560م خلف شارل التاسع هنري الثاني على عرش فرنسا وتم تعيين هنري دي فالوا وهو اخو ملك فرنسا على عرش بولونيا باتفاق مع فرنسا، وبذلك تجددت الهدنة مع ملك بولونيا وملك فرنسا في 1569 في عهد السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان، في ذلك الوقت أصبحت فرنسا ملكة التجارة في البحر المتوسط، وطبقا للمعاهدات السابقة فقد قامت فرنسا بإرسال البعثات الدينية النصرانية إلى كافة أرجاء البلاد العثمانية وخاصة بلاد الشام، وبذلك ازداد العصيان والتشجيع على الثورات[126].

واشترط في معاهدة 1569 على جميع السفن الأجنبية التي تجوب الشرق الأدنى مهما كانت هويتها أن ترفع العلم الفرنسي[127].

وفي الوقت الذي بدأت فيه الحرب الفرنسية مع النمسا في عهد وزارة الكردينال ريشيلو، أخذ نفوذ فرنسا لدى الباب العالي في الضعف حتى تقاسمت معها البندقية حق حماية الكنائس المسيحية أيام السلطان مراد الرابع، ولعدم اهتمام فرنسا بالامتيازات الدينية فاختص اليونانيون بخدمة بيت المقدس.

وما زاد علاقة الدولتين العثمانية والفرنسية فتورا تدخل فرنسا سرا لمساعدة البندقية في الدفاع عن جزيرة كريت وا ٕمدادها بالسلاح حيث ضبطت الدولة العثمانية مراسلات مشفرة سرية في 1659م بين البلدين[128] بعد هذا أرسلت فرنسا سفيرها برفقة عمارة حربية لإرهاب الدولة العثمانية ومطالبتها بتجديد الامتيازات لإقناع دول أوروبا بأن نظام الامتيازات حقا من حقوقهم الطبيعية[129].

---

(126) عيسى الحسن، الدولة العثمانية =عوامل البناء وأسباب الانهيار، المرجع السابق، ص 193.

(127) وليد صبحي العريض، المرجع السابق، ص 302.

(128) وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1، الأردن، 2003، ص 129.

(129) عيسى الحسن، الدولة العثمانية =عوامل البناء وأسباب الانهيار ،المرجع السابق، ص 194.

وبدل أن تتعظ الدولة العثمانية مما حدث، أمر السلطان مراد الرابع (1684/ 1687م) بتفويض فرنسا حق حماية بيت المقدس[130].

واستمر منح الامتيازات بغض النظر عن وفاة السلطان الذي منحها فقد منح الفرنسيون في 1740م امتيازات مفتوحة[131]، وأضافت لها السلطة العثمانية امتيازات تجارية جديدة لفرنسا لكن هذه الامتيازات تعرضت لتهديد تمثل في احتلال نابليون بونابرت لمصر فقد أوقفت السلطة العمل بها، إلى حين تراجع هذا الأخير لقاء تجديد الامتيازات وتم ذلك في 1 أكتوبر 1801م وتم إضافة امتيازات جديدة تمثلت في حرية التجارة والملاحة في البحر الأسود[132].

حصل الفرنسيون على موافقة لصيد المرجان التي كانت حلم الفرنسيين منذ زمن بعيد مع دفع عشر ما يحصلون عليه من المرجان مثلما كان يدفع أهالي جنوه سابقا.

وجدد على إثرها الفرنسيون الصلح مع الدولة العثمانية في عهد مراد الثالث حيث أصدر هذا الأخير أمرا لجميع أمراء وجميع المماليك التابعة للدولة العثمانية بإطلاق سراح جميع الأسرى الفرنسيين وا ٍعادة جميع الأموال والسفن التي أخذت منهم في 1619م[133].

وكان لفرنسا كذلك امتيازات تجارية في الشرق الجزائري (عنابه، القالة ورأس بونه، القل) وكانت فرنسا تدفع جزية سنوية لكل من الداي من جهة وباي قسنطينة من جهة أخرى وذلك مقابل حقها في صيد المرجان واحتكار تصدير الحبوب إلى أوروبا[134].

كذلك تم توقيع معاهدة نصت على امتناع القراصنة الجزائريين على مهاجمة السواحل الفرنسية، كما ومنع بيع الأشخاص والأشياء المأخوذة من السفن الفرنسية في

---

(130) عيسى الحسن، الدولة العثمانية =عوامل البناء وأسباب الانهيار، المرجع السابق، ص 194.

(131) وليد صبحي العريض، المرجع السابق، ص 302.

(132) محمد على الصلابي، المرجع السابق، ص 278.

(133) عزيز سامح التر،الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود على عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1409هـ/1989م، ص 260.

(134) محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،(د ط)، الجزائر، 2009، ص 12.

ميناء الجزائر، وحرية ممارسة الشعائر الدينية، كذلك تقديم المساعدة للسفن الفرنسية وحمايتها عند لجوءها إلى ميناء الجزائر وبعد التوقيع على المعاهدة، ثم إعادة الباستون وذلك بفتح مراكز تجارية في مناطق متعددة، وسمح للجزائريين كذلك ببيع الجلود والشمع والعسل للفرنسيين[135].

ومن التسهيلات كذلك التي منحت للفرنسيين أن كل التجار الفرنسيين الذين يرسون في موانئ أو على شواطئ المملكة يستطيعون إنزال سلعهم والقيام بالبيع والشراء[136].

لكن الجزائر قطعت علاقتها مع فرنسا بعد الحملة الفرنسية على مصر وأصبحت إنجلترا تنافسها في البحر المتوسط[137].

10. الإصلاحات في الدولة العثمانية:

حركة الإصلاح والتجديد في الدولة العثمانية[138] المعروفة باسم التنظيمات[139] بدأت فعليا في أوائل القرن أل 19 إلا أن ذلك لا يعني أن التأثر الغربي في الدولة العثمانية لم يكن موجودا قبل ذلك فالمدافع التي استعملها محمد الفاتح لدك أسوار القسطنطينية ،كذلك فن العمارة في مسجد نور العثماني في اسطنبول، كلها تشهد على التأثير الغربي في الدولة العثمانية[140].

وبمجيء السلطان أحمد الثالث (1703 – 1730) بدأت محاولات الإصلاح والاتصال بالغرب، ففي عام 1781 وصل إبراهيم باشا إلى منصب الصدارة العظمى

---

(135) عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 337.

(136) سيدهم فاطمة الزهراء، العلاقات الجزائرية الفرنسية ما بين 1790-1830، دار كوكب العلوم، ط1، الجزائر، 2013، ص 80.

(137) نفس المرجع ، ص 81.

(138) عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، (د. م. ن)، 2001، ص 51.

(139) رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د. ط)، (د. م. ن)، 1994، ص 25.

(140) عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، المرجع السابق، ص 51.

واخذ يعمل طوال 12 عام على إدخال الاقتباسات الغربية إلى الدولة العثمانية ،وحث السلطان العثماني على البدء بالإصلاحات العسكرية، وتم افتتاح مدرسة العلوم الهندسية في سكناري عام 1734 على النمط الأوروبي الفرنسي(141).

بعد معاهدة كوشك قينارجة ،نجد أن السلطان عبد الحميد الأول قد كرس جهوده لإنشاء مدفعية بحرية جديدة بالكامل وقد وكلت أمور المدفعية إلى البارون ديتوت وهو نبيل من المجر، كان قد انتقل إلى خدمة فرنسا في عام 1755 في تركيا مع قيرجان الذي عهد إليه بمهمات مختلفة لمجمع المعلومات في الإمبراطورية الرومانية وفي القرم(142).

السلطان سليم الثالث(143) حرص في حكمه على القيام بعدة إصلاحات، فبدأت اتصالاته قبل توليه العرش مع الأوساط الفرنسية منذ عهد والده السلطان مصطفى الثالث وعمه السلطان عبد الحميد الأول وظل على اتصال مع لويس السادس عشر إلى أن قامت الثورة الفرنسية 1789م غير أن فرنسا لم تكن مؤهلة كثيرا لإقامة علاقات وطيدة مع السلطان سليم الثالث(144).

وسرعان ما اتضحت مقومات جهود الإصلاح في القرن 18م وهي أن حركة الاقتباس عن الغرب كان مستوحى من مصادر وأنماط فرنسية وذلك على اعتبار أن فرنسا كانت تجسد الحضارة الغربية ولأنها كانت الحليف التقليدي للدولة العثمانية.

– أن معظم جهود الإصلاح قد انصبت على تحسين التدريب العسكري.

---

(141) عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، المرجع السابق، ص 51.

(142) روبير مانتران ، المرجع السابق،ج2، ص 08.

(143) سليم الثالث: ولد عام 1175هـ وجلس سنة 1203 هـ على كرسي الحكم، وجه الكثير إلى الاهتمام لتنظيم الجنود وحشد الجيوش وتقوية المعاقل وتعزيز المالية، كانت له حرب مع روسيا والنمسا، وتمكنت قواته المسلحة من رد الاعتداءات بقيادة الصدر الأعظم يوسف باشا وقبودان باشا، توفي في 1222هـ، (أنظر عزتلو يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان، ص 112، 113).

(144) حسن حلاق، تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، ط1، لبنان، 2000م، ص 36.

– كان يمكن للإصلاح أن يستثير ردود فعل عنيفة في بعض الأحيان بأن مثل هذه الإصلاحات مستوحاة عن الكفار[145].

وبعد الحملة الفرنسية على مصر اتجه السلطان سليم الثالث إلى فرنسا لطلب العون العسكري والفني[146]، على إثر الهزائم العسكرية والسياسية المتتالية التي منيت بها الدولة العثمانية بنهاية القرن 17م ،وتزايد الإحساس بضرورة إنشاء جيش عثماني قوي بقدر ما أن الإمبراطورة كاترين الثانية تفصح عن نواياها، كان لها في يناير 1777م تدخل في منطقة القرم، وعلى مدار عامين تنازع الروس والعثمانيين على السيادة في القرم[147].

وقد ذهبت حكومة الإدارة الفرنسية إلى أبعد مدى في الاستجابة لمطلب العثمانيين في هذا المجال لتحصل على تأييدهم للثورة الفرنسية وللنظام الجمهوري الفرنسي، وقد أرسلت حوالي 70 فرنسيا من أمهر الفنيين في صناعة الأسلحة[148].

وقد عين السلطان سليم الثالث كشك حسين باشا أحد المقربين من السلطان وكان بمنصب قبودان عام أميرالا بحريا، وأوكل إليه النهوض بإصلاح البحرية العثمانية على الطراز الحديث، أنشأ عدة سفن حربية على طراز احدث السفن الفرنسية، واستقدم خيرة المهندسين من فرنسا لإنعاش صناعة المدافع ،وقام بترجمة مؤلفات المعلم فوبان الفرنسي في وقت الاستحكامات[149].

---

(145) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 172.

(146) ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص 261.

(147) عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، المرجع السابق، ص 50.

(148) ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص 261.

(149) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 212.

وقد أرسلت حكومات فرنسا المتعاقبة إلى الباب العالي نماذج من الخطط والقذائف الجديدة والمدافع والبنادق والرصاص، كهدايا لضمان الحصول على تأييد السلطان في المنازعات السياسية والعسكرية التي كانت قائمة بين فرنسا والدول الأوروبية آنذاك(150).

بالنظر إلى الظروف السائدة فإن الجيش هو هدف تدابير التحديث الأولى وفيلق الانكشارية(151) لا يتعرض للانقلاب بالمعنى الدقيق للمصطلح على أن تجنيد الفيلق يخضع لقواعد أكثر صرامة، ويجري إنشاء مراتب جديدة، أما المرتبات التي تدفع على أساس شهري فهي تحدد وفقا للمراتب والقدرات، بينما يصبح التدريب إلزاميا ومنتظما(152).

أرسلت الحكومة العثمانية إلى فرنسا قائمة بأسماء الضباط والفنيين الذين ترغب في استخدامهم لتدريب جيشها الجديد، فأرسل وزير الحربية الفرنسي 3 ضباط و6 من ضباط الصف كما ازدادت في الوقت نفسه كميات البنادق المستوردة من فرنسا(153).

وفي أثناء شروع السلطان سليم الثالث في تنظيم الجيوش على النظام الجديد حصل اضطراب داخل الدولة العثمانية بسبب الانكشارية الذين لم ينظروا إلى هذه الإصلاحات العسكرية بعين الارتياح لخوفهم من أن تكون مقدمة لإلغاء أوجا قهم(154)، فراحوا يقفون أمام سرايا كوشك حسين باشا، مهددين تارة ومستهزئين تارة أخرى(155) ،وقد تدرب الجيش الجديد الذي أنشأه سليم الثالث على يد الفرنسيين وكان لهم الفضل في إفشال خططات نابليون لاحتلال عكا، وا ٍخراجهم من مصر، لكن الانكشارية تأمرت مع

---

(150) ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص 261.

(151) الإنكشارية: جاء اسم الانكشارية بعبارة (يني شري) معناه الجيش الجديد في مقابل السباهية الإقطاعية في الأيام السابقة (انظر: غائبة بعيو، التنظيمات العثمانية وأثارها على الولايات العربية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، ص 21).

(152) روبير مانتران ، المرجع السابق ،ج2، ص 13.

(153) عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية ،المرجع السابق، ص 261.

(154) محمد فريك بك، المصدر السابق، ص 381.

(155) منصور عبد الكريم، المرجع السابق، ص 393.

بعض رجال الدين على قاعدة أنه لا يجوز شرعا أخذ العلوم العسكرية من الأجانب وأنه يعتبرونه بدعة والإسلام حرم البدع، وبهذا استمرت الانكشارية ضد الإصلاحات[(156)].
وقد آثر سليم الثالث أن ينشأ فرقة جديدة أطلق عليها اسم "النظام الجديد" تتلقى تدريبها على النمط الأوروبي الحديث[(157)].

وفي سنة 1801 فتح السلطان سليم الثالث نافذة أخرى على الغرب وهي الإصلاح الدبلوماسي، ففي ذروة المجد العثماني لم يكن للدبلوماسية سوى تأثير قليل في شؤون الدولة إلا أن الظروف الجديدة أجبرتهم على الدخول في مفاوضات عند كل حادث مع جيرانهم الأوربيين[(158)]، لكن هذه الإصلاحات جاءت متأخرة بعد ضعف روابط الولاء بين العاصمة العثمانية والولاة، فسعى أكثرهم إلى الاستقلال أو عدم دفع الأموال الأميرية إلى خزينة الباب العالي التي نضبت تقريبا بسبب سوء الإدارة والحروب[(159)].

وفي عهد السلطان سليم أيضا طرأ تطور أخر جديد في السياسة العثمانية الخارجية فاعتنق السلطان مبدأ التحالف مع الدول الأوروبية لتحقيق القوة والأمن للإمبراطورية وبمجرد اعتلاء السلطان سليم عرش السلطة فإنه انحرف عن السياسة العثمانية التقليدية، و هي سياسة العزلة ودخل في تحالف دفاعي مع السويد وبروسيا عام 1790[(160)].

وهكذا شهد عهد السلطان سليم الثالث بدايات التعليم العسكري الغربي وما ارتبط به من استيراد المعرفة من أوروبا، كما جرت كثير من التعديلات على خريطة أوروبا وهي التعديلات التي مس بعضها الإمبراطورية العثمانية[(161)].

---

(156) حسن حلاق، المرجع السابق، ص 36.
(157) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 179.
(158) عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية ، المرجع السابق، ص 59، 60.
(159) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 212.
(160) عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية ،المرجع السابق، ص 61، 62.
(161) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 175.

وبمرور الوقت شعرت جماهير العثمانيين بالبعد عن الأساليب العسكرية القديمة والتقليدية بعد دخول التكنولوجيا والأفكار الغربية[162].

ويعزو بعض المؤرخين نجاح الأفكار الفرنسية والغربية في الدولة العثمانية إلى القوة المادية للغرب في إقامة اقتصاد أوروبي متين وتفوق عسكري وسياسي يفوق كثيرا ما كان لدى العثمانيين أو أية أمة إسلامية، ويبدو أن نجاح أفكار الثورة في الدولة العثمانية كان يرجع إلى أنها كانت أول ثورة اجتماعية في أوروبا تدعو إلى العلمانية[163].

تم عزل السلطان سليم الثالث بسبب إدخال أساليب الفرنجة وعوائدهم إلى الجيش[164]، ففي عام 1824 أصدر مرسوما أعلن فيه أن التعليم الابتدائي هو من مسؤولية الدولة وكان ذلك يعني رفع يد الهيئة الإسلامية من الإشراف على التعليم[165].
تولى بعد السلطان سليم الثالث السلطان[166] "محمود الثاني"[167] الحكم من 1808م إلى 1839م حيث اطلع هذا الأخير على خطط الإصلاح لسليم الثالث إلا أنه أرغم في البداية على الانحناء أمام رغبات الانكشارية فأمر بإلغاء كل الإصلاحات حتى يرضيهم، لكن الفرصة لم تتح له قبل مرور عدة سنوات[168].

---

(162) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 181.

(163) عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية ،المرجع السابق، ص 63.

(164) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008، ص 603.

(165) نفس المرجع، ص 613.

(166) عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية ،المرجع السابق، ص 76.

(167) محمود الثاني: تولى مقاليد الحكم سنة 1808م وهو في 24 من عمره، كانت له رغبة في الإصلاح والنهوض بالدولة ، ورأى أن نجاح الإصلاح في دولته يجب أن يكون شاملا لكل النظم العثمانية ولا يقتصر على المجال العسكري فقط ، ولذلك عزم على إزالة النظم التقليدية القديمة، توفي في 1839م، (انظر: غائبة بعيو، التنظيمات العثمانية وأثارها على الولايات العربية، ص 23).

(168) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثماني، المرجع السابق، ص 313.

أما الإصلاحات المدنية فهي أقل عمقا بكثير، فهي تتعلق بإعادة تنظيم خدمات الشؤون المالية وتزويد المدن بالمنتجات الأساسية وا لزام الفلاحين الفارين بالعودة إلى قراهم ومراعاة التقاليد فيما يتعلق بارتداء اللباس الشرعي بالنسبة لمختلف فئات السكان(169).

خلال القرن ال19م استطاعت هذه الأفكار أن تؤثر في بنية المجتمع العثماني وأن تصيب جميع فئاته بدرجات متفاوتة، هذه الأفكار كلها كانت تتلخص في ثلاثة كلمات (حرية، إخاء، مساواة) والتعبير عن الآراء هو من أثمن الحقوق التي يتمتع بها الإنسان(170).

ومن أهم الآثار، ذلك الانتقاص الذي سيصيب بالدرجة الأولى طبقة العلماء والذي سيؤدي إلى انحصار دورها في الحياة السياسية في المجتمع العثماني، إضافة إلى ترسيخ الامتيازات الأجنبية القديمة وتوسع إطارها في مختلف مجالات الحياة العامة السياسية والاقتصادية والثقافية(171).

فتحت الدولة العثمانية أفنيتها أمام تسرب الفكر والثقافة الأوروبية الفرنسية إلى داخلها وبدأ العثمانين ينقبون وراءها وا دخالها إلى إدارات ونظم الدولة وبهذه الطريقة أخذت الأفكار الغربية الفرنسية تتغلب على حواجز الرفض الإسلامي وكل ما هو أوروبي، وصار بذلك تقدم الدولة العثمانية نحو الدولة العلمانية الحديثة(172).

---

(169) روبير مانتيران ، المرجع السابق ،ج2، ص 14.

(170) عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية ،المرجع السابق، ص 64.

(171) الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288م-1916م، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، (د م ن)، 2007، ص 164.

(172) غائبة بعيو، التنظيمات العثمانية وأثارها على الولايات العربية = الشام والعراق نموذجا، 1839م- 1876م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الغالي غربي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ،(د م ن) ، 2008-2009، ص 138، 139.

11. انعكاسات نظام الامتيازات

بداية من القرن 18 و19 بدأت الدول الأوربية تسيء استخدام الامتيازات والتسهيلات التي منحتها الدولة العثمانية لهم، فبدأت هذه الدول تتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية(173) عن طريق رعاياها من النصارى وأصبحت هذه الاتفاقيات ملزمة للحكام، فنتج عنها خروج الرعايا الأجانب عن طاعة أوامر الدولة ،مما سبب ضعفا وأحيانا قيام حركات تمرد وثورات(174).

فبعد أن كانت الامتيازات عملا فرديا إراديا من جانب السلطان العثماني ليعرب عن الصداقة وكانت موافقة السلطان ضرورية على تجديد الامتيازات أو الإضافة إليها ،وبعد أن كانت هذه الامتيازات تعكس رؤيا إسلامية للعثمانيين لتفوقهم ولعدم المساواة مع الغير، أصبحت القوة الأوروبية تطلب بنفسها هذه الامتيازات بل وتفرض شروطها وأصبحت الامتيازات منذ ذلك الحين أداة أساسية للاستغلال الاقتصادي الأوروبي كما أصبحت سببا لدمج الإمبراطورية العثمانية في نظام التحالفات الأور بية(175).

وقد تعرضت الدولة العثمانية في القرن 18م إلى سلسلة من الأحداث تأكد أن الدولة العثمانية لم تعد قوية وأصبحت هدفا للتوسع الاستعماري، والحملة الفرنسية على مصر في 1789 تثبت ذلك ،حيث أن الدولة العثمانية لم تستطع إخراج الفرنسيين من مصر إلا بمساعدة إنجلترا(176).

لقد أصبحت الامتيازات عاملا مهما من عوامل الضعف الذي دب في الدولة العثمانية فقد أدى إلى عرقلة جهود الإصلاح والتقدم في عقد التنظيمات، فقد عانت الدول الخاضعة للحكم العثماني أيضا من آثار هذه الامتيازات التي امتدت إليها بحكم تبعيتها

(173) الغالي غربي، المرجع السابق، ص 204.

(174) إسماعيل احمد ياغي ،الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ،المرجع السابق، ص 95.

(175) نادية محمود مصطفى، المرجع السابق، ص 86.

(176) عبد العزيز سليمان نوار ، المرجع السابق، ص 136.

للدولة العثمانية فقد أشاعت الانقسام والفرقة وأدت إلى الفتن والمذابح كما حدث في بلاد الشام ولم يعد من حق الدولة إلغائها أو تعديلها[177].

ونقطة ضعف الدولة أنها لم تضع لها حدود ومقاييس التي تحد من حرية الرعايا الأجانب على أراضيها[178].

فقد منحت الدولة العثمانية الامتيازات للأجانب اغتباطا بسخاء وكرم لا مبرر لهما[179] واستفادة فرنسا من تقاربها مع الدولة العثمانية عسكريا واقتصاديا وسياسيا واتخذت من المعاهدات السابقة وسيلة لفتح أبواب التجارة دون الخضوع للاحتكار التجاري الذي فرضته البرتغال بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، كما حصلت بموجبها على الحق الكامل في الحماية تحت علمها رعايا الدول الغربية[180].

هذه المعاهدات بكل أسف لم يستفد منها رعايا الدولة العثمانية وكأنها عقدت فقط لتلبية المطالب الغربية وتحقيق مصالح الأعداء دون مقابل[181].

كانت هذه المعاهدات هي المنفذ الأجنبي والحجة والذريعة التي استخدمتها الدول الأوروبية للدفاع عن مصالحها التجارية والدينية والثقافية والسياسية في الدولة العثمانية[182].

فقد منحت الحقوق للأجانب أولا ثم لبعض السكان المحليين فيما بعد، فقد أراد السلطان أن يعيد الطريق التجاري إلى البحر المتوسط بعد أن تحولت إلى رأس الرجاء الصالح وذلك بإعطاء امتيازات للدول الأوربية على رأسها الفرنسيين ليشجعهم على

---

(177) زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، دار الميسرة، ط1، عمان، 2010، ص 292.

(178) الغالي غربي، المرجع السابق، ص 205.

(179) جفري برون، تاريخ أوربا الحديث، تر : علي مرزوقي، الأهلية للنشر و التوزيع ،(د ط) الأردن، 2006، ص 518.

(180) عيسى الحسن، الدولة العثمانية =عوامل البناء و أسباب الانهيار،المرجع السابق، ص 140.

(181) إبراهيم حسنين، المرجع السابق، ص 247.

(182) الغالي غربي، المرجع السابق، ص 204.

الإبحار في هذا الطريق، لكن هذه الاتفاقيات أصبحت تمثل قوة للدول الأوربية أولا ثم للرعايا وبعض سكان الدولة العثمانية ثانيا[183].

النتائج الاقتصادية:

فقد نصت المعاهدات على حرية دخول الأجانب لأراضي الدولة العثمانية والاستقرار في أي جزء من أجزائها دونما ضغط أو إكراه والمتاجرة في مدنها وموانئها[184]، وليس من حق الدولة العثمانية أن تجني أي ضريبة مباشرة من الأجانب، والتحكم في الأسعار وممارسة الاحتكار الكامل للسلع[185].

وسيطرت المتعامل الأجنبي على وسيلة التعامل التجاري وهي النقد[186]، فبالنظر إلى الخارطة الطبيعية والاقتصادية للدولة العثمانية نجد أنها كانت تسيطر بإحكام على حوض البحر المتوسط والأحمر والبحر الأسود والخليج العربي، ومضايق البوسفور والدردنيل وباب المندب وكان ذلك عاملا مساعدا للامتداد التجارة لبلاد إيران والصين عبر طريق برية تحت سيطرة الدولة العثمانية[187].

ولهذا كانت المعاهدات السابقة الأساس الذي بنت عليه الكثير من الدول الأوروبية نهجها في المعاهدات التي عقدت بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية بصفة عامة[188].

واستفاد بشكل كبير خاصة التجار الأجانب من هذه الامتيازات هذا ما أدى إلى خروج التجارة الداخلية والخارجية في الدولة العثمانية من أيدي أصحابها لتتجمع خيوطها في أيدي دول الغرب[189]، وقد ركزت الامتيازات على حركتي التصدير والاستيراد الحرين

---

(183) جفري برون، المرجع السابق، ص 596.

(184) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق ص 204.

(185) نفس المرجع ، ص 205.

(186) وليد صبحي العريض، المرجع السابق، ص 307.

(187) نفس المرجع ، ص 307.

(188) إبراهيم حسنين، المرجع السابق ص 247.

(189) الغالي غربي، المرجع السابق، ص 205.

للأجانب كذلك حرية دخول السفن الموانئ العثمانية دون دفع رسوم وحرية التسويق والتحميل والتصدير لمختلف المنتجات[190].

النتائج على الجانب القضائي:

فقد أدت هذه الاتفاقيات إلى حرية إقامة الدول المتعاقدة في اسطنبول وفي المدة التي يختارها ممثلين عنها تحت اسم سفير وإجازة لهؤلاء أن يشرفوا على مواطنيهم ويحلو النزاعات والخصومات بينهم[191].

واستبعدت المحاكم المحلية في التدخل في شؤون الرعايا الأجانب وإذ اقتضى الأمر حسب الامتيازات القيام بتشكيل محاكم قنصلية خاصة ذات صلاحيات كاملة[192].

وبهذا لم يعد الأجانب يخضعون لسلطة الحكام المحليين وأضحى الرعايا الأوربيين في الدولة يتمتعون بحصانة أعفتهم من الخضوع للسلطات العثمانية وجعلتهم طبقة مستقلة ترى نفسها فوق القانون، وأصبحوا يشكلون حكومة داخل حكومة[193].

الجانب السياسية:

من خلال التدخل في السيادة العثمانية فقد استغلت الدولة الأوربية ذلك الحق الذي منحته هذه الاتفاقيات للقناصل في فرض إرادتها وحماية مصالحها على حساب مصالح الدولة[194].

الجانب الثقافي:

في بداية القرن ال19 بدأت الثقافات الأجنبية تغزو الدولة العثمانية مقابل انحطاط في الثقافة العثمانية[195].

---

(190) وليد صبحي العريض، المرجع السابق ص 310.

(191) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق ص 526.

(192) الغالي غربي، المرجع السابق ص 205.

(193) محمد سهيل طقوس ، المرجع السابق ص 597.

(194) الغالي غربي، المرجع السابق ص 205.

(195) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق ص 597.

- وبذلك قوي نفوذ الدول الأوروبية وازداد تدخلها في الشؤون الداخلية والخارجية للدولة، كلما اقتربت من نهايتها واتخذت فرنسا من معاهدات الامتيازات سندا لها في هذا التغلغل وأفضى ذلك إلى تقييد الدولة العثمانية التي كانت تتعرض لهزائم عسكرية أليمة من قبل الجيوش الأوروبية خاصة في ق 18 و19 ووجدت هذه الدولة الأوروبية في هذه الهزائم مشجعا لها على مزيد من التدخل أكثر مما نصت عليه المعاهدات، فقد كانت للأجانب حصانة منيعة تجاه السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية في أقاليم الدولة[196].

وهكذا فإن الاتفاقيات التجارية وعهود الأمان التي منحتها الدولة العثمانية للأوروبيين في القرن 16م تحولت في القرون التالية إلى امتيازات فعلية وحقوق يتمتع بها الأوروبيون[197].

وشهد القرن 18 م وجود غربي في التجارة الدولية للإمبراطورية وهو وجود راجع إلى انطلاق رأسمالية تجارية تدعمها الحكومات وتعبر عن نفسها من خلال إنشاء أو توسيع الشركات التي تستفيد من دعم السفراء والقناصل اللذين يفرضون قدرا كبيرا من السلطة بل والمطالبة بما يتناسب مع تضاءل القوة العثمانية[198].

كانت الامتيازات عاملا منظما للاقتصاد الأوروبي أثرت بشكل سلبي على تنظيم الاقتصاد العثماني والثقافة في ظل العد التنازلي للدولة العثمانية وانتقالها تدريجيا من عصر القوة إلى عصر الضعف السياسي والعسكري والاقتصادي ومن خلال روح الامتيازات نفسها وانتقالها من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة ،نتيجة الضغوط القنصلية والتجارية فيما كانت أوروبا في تطور كانت الدولة العثمانية في حالة تراجع[199].

---

(196) الغالي غربي ، المرجع السابق ص 206.

(197) نفس المرجع ،ص 206.

(198) روبير مانتيران،المرجع السابق ج،1ص 429.

(199) وليد صبحي العريض ، المرجع السابق ص 313.

12. جهود الدولة لإلغاء نظام الامتيازات:

أدركت الدولة العثمانية خطورة الامتيازات وخاصة التي فرضت عليها بعد هزائمها في الحروب، لذا لابد من القيام بمحاولات عدة لإلغائها كون الدولة لم تستطيع الاستمرار في إبقاء هذه الامتيازات لأن حقوق الرعايا الفرنسيين أصبحت أكثر من حقوق المواطنين العثمانيين أنفسهم[(200)].

ولذلك أصبحت معاهدات الامتيازات الأجنبية بمثابة مواثيق مذلة للعثمانيين إلى غاية سقوط دولتهم عقب نهاية الحرب العالمية الأولى[(201)]، فقد قررت لائحة مؤتمر برلين 1879الذي أقرته روسيا والنمسا وفرنسا وا ٍيطاليا التشديد على الباب العالي لتعيين مجلس دولي لمراقبة أحوال المسحيين في السلطنة[(202)].

ولقد ظهرت أولى الخطوات العملية لإلغاء نظام الامتيازات في مؤتمر باريس 1856 لكن لم تجد الدولة استجابة من الدول الأعضاء في المؤتمر فقد أعطت الدولة العثمانية فرصة لتنظيم شؤونها[(203)]، لأن الدول الأجنبية ربطت إلغاء نظام الامتيازات بالإصلاحات الداخلية في الدولة.

وجرت المحاولة الثانية لإلغاء نظام الامتيازات في 1869-1871 ولكنها لم تحصل على نتائج فعلية بسبب وقوع الدولة العثمانية تحت طائلة الديون والقروض الأجنبية[(204)].

---

(200) وليد صبحي العريض، المرجع السابق، ص304.

(201) عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص63.

(202) قيس جواد العزاوي، المرجع السابق ،ص 27.

(203) عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق ،ص 63.

(204) وليد صبحي العريض، المرجع السابق ،ص 305.

وفي مؤتمر لندن 1877 طلب السلطان بأن يقوم سفراء الدول الأوروبية في الأستانة بمراقبة النصارى في الإمبراطورية وسوية الأمور بعدها في اتفاقية سان ستيفانو في مارس 1878 التي أقرت استقلال الجبل الأسود ورمانيا والصرب[205].

وعقب انقلاب عام 1908 على حكم السلطان عبد الحميد الثاني حاول أعضاء الاتحاد والترقي إلغاء نظام الامتيازات لكنهم أخفقوا[206].

وطالبت بعدها الدولة العثمانية على عهد الاتحاديين في عام 1912 نفس الطلب وقد نصت المواد 6-7-8من القسم السري لمعاهدة أوستي بين الدولة العلية وا ٍيطاليا بشأن طرابلس والمغرب على ما يأتي:

"إن الحكومة الإيطالية توافق على إلغاء نظام الامتيازات وما يتبعها من نظم ومؤسسات وذلك عند موافقة سائر الدول"[207].

وعلى إثر قيام الحرب العالمية الأولى 1914 أرسلت الدولة العثمانية منشورا في (أيلول) سبتمبر من العام نفسه إلى سفراء الدول في اسطنبول تبلغهم أنها قررت إلغاء الامتيازات، وقوبل هذا القرار باحتجاج السفراء معلنين تمسك حكوماتهم ببقاء النظام سائدا[208].

فقررت الدولة زيادة الرسوم الجمركية التي كانت تقررها وجرى الاستيلاء على دور البريد الأجنبية بما في ذلك الألمانية وتقرر خضوع الأجانب في الإمبراطورية للقوانين العثمانية، كما تقررت محاكمتهم أمام الحكام العثمانيين وأصدر مرسوما بإغلاق البوغازيين في وجه السفن الأجنبية[209].

(205) قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 27.

(206)محمد الشناو ي، المرجع السابق، ص 63.

(207) قيس جواد العزاوي، المرجع السابق ،ص 88.

(208) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 598.

(209) قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 64.

بعد دخول الدولة في الحرب العالمية الأولى في 5 نوفمبر 1914 منظمة إلى دولتا الوسط (ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية) ضد بريطانيا وحلفائها، أعلنت دول الوسط قبولها إلغاء النظام[210].

لكن الولايات المتحدة، رفضت من جانبها الإذعان بهذا القرار بقولها "إن نظام الامتيازات ليس نظاما عثمانيا مستقلا بل هو نتيجة مواثيق دولية واتفاقيات دبلوماسية في ميادين عدة"[211].

وقررت بريطانيا وحليفاتها في معاهدة سيفر التي فرضتها في 1920 على الدولة إلى الإبقاء على نظام الامتيازات عقابا لها بعد هزيمتها في الحرب[212] وألغي هذا النظام عمليا بعد معاهدة لوزان في 1923 بعد أن تأكدت الدول الأوروبية بأنه لا رجعة للسلطنة ولا للخلافة الإسلامية وأن تركيا بقيادة مصطفى كمال أتاتورك ستلحق بالدول الأوربية وتتكر الإسلام وهذا ما حدث فعلا [213].

وقد تم إلغاء نظام الامتيازات في الإيالات العثمانية (سوريا ولبنان والعراق وفلسطين) بعد الحرب العالمية الأولى ووضعها تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني وفق ميثاق عصبة الأمم.

لكن نظام الامتيازات بقي سائدا في مصر إلى أن دعت هذه الأخيرة في 1937 إلى عقد مؤتمر دولي في مدينة مونتريه بـ سويسرا توصل فيه إلى إلغاء النظام في مصر بعد فترت حددت بـ 12 سنة أي في 1949 بزوال المحاكم المختلطة[214].

---

(210) محمد الشناوي، المرجع السابق ،ص 64.

(211) قيس جواد العزاوي، المرجع السابق ،ص 28.

(212)محمد الشناوي، المر جع السابق، ص 64.

(213) قيس جواد العزاوي،المرجع السابق ، ص 29.

(214) وليد صبحي العريض، المرجع السابق ،ص 306.

استنتاج:

في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية في أوج قوتها من الازدهار والتوسع، كانت الدول الأوروبية تتصارع فيما بينها وتعاني من المشاكل السياسية في الداخل والخارج، فكانت إسبانيا للتوسع على حساب الدول الأوروبية لتكوين الإمبراطورية الرومانية المقدسة، الأمر عاد على فرنسا وملكها فرانسوا الأول بالسلب فتحين هذا الأخير فرصة العداء المشترك بين فرنسا والدولة العثمانية لإسبانيا لتكوين تحالف ضدها فتوجه الملك الفرنسي بطلب الإستغاثة من السلطان سليمان فتجسد التحالف بينهما فيما يسمى نظام الامتيازات التي حصلت بموجبها فرنسا على حقوق دون غيرها من الدول الأوروبية استغلتها فيما بعد لخدمة مصالحها والتدخل الإجباري في الشؤون العثمانية.

ويمكن وصف العلاقات العثمانية الفرنسية من 1535م إلى قبيل الدخول الفرنسي على مصر بالمتوترة تسيرها المصالح الفرنسية في الدولة العثمانية بالدرجة الأولى فتارة تكون العلاقات وطيدة يشملها التعاون بين الطرفين ضد العدو المشترك، وتارة تسوء نتيجة إخلال فرنسا بوعودها اتجاه الدولة العثمانية لتتحالف مع الدول الأوروبية الصليبية ضد المسلمين لكن العلاقات بصفة عامة كانت طيبة، رغم كل التجاوزات والمخالفات التي بادرت بها فرنسا بقي سلاطين الدولة العثمانية يتجاوزون ذلك بإعطاء المزيد من التسهيلات والترخيصات لفرنسا ورعاياها.

ومن المثير للجدل أن الدولة العثمانية كانت في كل مرة تقابل الاعتداءات والتحرشات الأجنبية خاصة منها الفرنسية بالتساهل والرضوخ وتجيد معاهدات الامتيازات، وما يثير الجدل أكثر أنها كانت في أوج قوتها خاصة في عهد السلطان سليمان القانوني، فلو أن الدولة العثمانية وضعت حدا للنظام منح الامتيازات في بدايته الأولى الذي يدخل ضمن الاغتباط بالسخاء والكرم والافتخار بالقوة والهيبة التي وصلت لها الإمبراطورية العثمانية، لكنها لم تدرك أنها سيكون وبالا عليها فيما بعد، واستغلت الدول الأوروبية هذا النظام وفق مصالحها.

الفصل الثاني:
الأطماع الفرنسية في المشرق العربي
(مصر وبلاد الشام)

1. جذور الحملة الفرنسية وأسبابها
2. سير الحملة الفرنسية
3. رد فعل الدولة العثمانية اتجاه الحملة
4. فرنسا ومحمد علي باشا

1. جذور الحملة الفرنسية وأسبابها:

تركزت مصالح الدول الأوروبية بعد أن قويت شوكتها، في إضعاف الدولة العثمانية التي ظلت موحدة تصارع للحد من الأطماع الغربية التي أخذت تتطلع للهجوم على الشرق والتهام خيراته[215]، بعدما أصبحت عاجزة عن حماية ممتلكاتها[216].

دخلت مصر تحت حكم العثمانيين بعد معركة الريدانية[217] سنة 1517م[218]، حيث كانت سلطة الباب العالي على مصر اسمية، يتولاها حكام باشاوات يدبرون المؤامرات ضد السلطان تارة، ويثور الزعماء المحليون ضد الباشوات تارة أخرى[219].

ترجع فكرة الحملة الفرنسية على مصر إلى عهد بعيد، حيث لم يكن يحلم أحد فيه بالثورة الفرنسية أو جمهورياتها ولا نابليون وفتوحاته وا مبراطوريته فقد كان ليبنتز أول من فكر في ذلك إذ كان لويس الرابع عشر سنة 1672م يحارب بلاد الفلمنك (هولندا) التي كان لها في ذلك العصر نفوذ كبير ومستعمرات ومتاجر واسعة في الشرق والغرب فكتب أحد الرجال الكبار إلى لويس الرابع عشر يقول: "إذا كان مولاي يريد القضاء على جمهورية هولندا فأحسن وسيلة في ذلك هي ضرب هذه الأمة في مصر هناك حيث يوجد

---

(215) أحمد سالم سالم علي، الدولة العثمانية ونقد نظرية الاستعمار عند جمال حمدان، مجلة كان التاريخية، العدد 15، (د. م)، ربيع الثاني، 1433هـ/مايو 2012 ، ص 49.

(216) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، معالم التاريخ وحضارة الإسلام من البعثة النبوية حتى سقوط الدولة العثمانية 609م- 1924م، دار الفكر العربي، (د. ط)، القاهرة ، 1419هـ/1998م، ص 258.

(217) الريدانية: قرية الريدانية واقعة على الطريق بين بركة الحج والقاهرة، وقعت هذه المعركة بتاريخ 29 ذي الحجة 922هـ/22 ديسمبر 1517م بين طومان باي والسلطان سليم الأول العثماني وبداية السيطرة العثمانية لمصر (أنظر: نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية، ص 262).

(218) جميل بيضون، شحادة الناظور، علي عكاشة، تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، (د. م. ن)، 1412هـ/1992م، ص 119.

(219) نفس المرجع، ص 64.

طريق الهند وحيث يمكن تحويل التجارة الهولندية إلى طريق مصر" إلا أن فرنسا خافت من استيلاء روسيا على الأستانة وتمزيق شمل الدولة العثمانية[220].

جربت فرنسا غزو إنجلترا مباشرة في أواخر عام 1796م وأوائل عام 1797م بإنزال حملة في ايرلندا إلا أن هذه التجربة باءت بالفشل[221].

أسهم الرحالة الفرنسيون الذين زاروا بلاد الشرق ومصر خصوصا في إحياء فكرة فتح ميادين جديدة للاستعمار في الشرق ،حيث تعوض فرنسا بذلك خسائرها في الغرب، ومن أهم هؤلاء البارون" دي توت" الذي قدم لحكومته تقريرا في عام 1776م على حالة تركيا الضعيفة المفككة عقب زيارته لها ثم تحدث عن سهولة فتح مصر واحتلالها[222].

ثم قامت الثورة الفرنسية وتأجج لهيبها وعلا نجم نابليون بونبرت بعد انتصاراته في شمال إيطاليا وقهره للنمسا ففكر في الإغارة على مصر[223]،فبعد نجاح هذه الثورة وا ٍقامة النظام الجمهوري، بعد حادثة العاشر من (أغسطس) أوت سنة 1792م التي أفضت إلى إسقاط النظام الملكي وا ٍعدام الملك لويس السادس عشر، فصار لجمهورية فرنسا تأثير كبير على خريطة العالم بمبادئ الثورة الفرنسية الجديدة (الحرية، العدل، المساواة) وأخذت تفكر في توسيع دولتها بإخضاع البلدان التي تشكل أهمية إستراتيجية للمصالح الفرنسية المتنامية، أو الإضرار بمصالح الدول المنافسة[224].

تلقت الإدارة الفرنسية تقريرين قبل الحملة على مصر، أحدهما من شارل مجالون قنصلها القديم في الإسكندرية يخبر فيه عن مدى الأضرار التي لحقت بالتجارة الفرنسية

---

(220) أحمد حافظ عوض، نابليون بونبرت في مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د. ط)، جمهورية مصر العربية، 2012، ص 71، 72.

(221) إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكة، ط1، الرياض، 1418هـ/1997م، ص 204، 205.

(222) نفس المرجع، ص 204.

(223) أحمد حافظ عوض، المرجع السابق، ص 72.

(224) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 213.

في مصر على أيدي بكوات المماليك[225] والثاني من تاليران، وزير خارجيتها عن مسألة فتح مصر [226].

كانت مصر البلد الذي وجهت إليه أنضار الدولتين (إنجلترا، فرنسا) لوقوعها على طريق الهند، فسعت إنجلترا لسلامة طريقالهند وا إقامة علاقات طيبة مع حكام مصر المماليك وعقدت في عام 1794م معاهدة مع حاكمي مصر مراد بك وا إبراهيم بك، منحت بموجبها امتيازات تجارية هامة في مصر والبحر الأحمر فكان لتوقيع هذه المعاهدة أثر على الأوساط الفرنسية الحاكمة ،وهذا ما دفع الحكومة الفرنسية إلى محاولة عقد معاهدة مع حاكم مصر تمنح التجارة الفرنسية ضمانات كافية، إلا أنها لم تفلح، وفي الوقت نفسه رفض السلطان سليم الثالث الموافقة على الاتفاقية التي عقدها المماليك مع إنجلترا[227]، وعلى الرغم من احتلال الفرنسيين لضفاف البحر الأدرياتي في دالماتيا إلا أن العلاقات العثمانية الفرنسية لا تزال طيبة[228].

يرجع مشروع الحملة الفرنسية على مصر في نشأته إلى النزاع الاستعماري العنيف بين إنجلترا وفرنسا في الهند إبان القرن 18م، والواقع أنه كان لمجيء الحملة الفرنسية إلى مصر سببان رئيسيان أحدهما يرجع إلى النزاع الاستعماري الذي كان على أشده في القرن 18م[229]، والثاني يتمثل في رغبة الفرنسيين الملحة في إنشاء مستعمرة جديدة في الشرق،

---

(225) المماليك: هو صنف من العبيد أصلهم من الأتراك والجراكسة المغول، استخدمهم الأيوبيون في الخدمة العسكرية وتمكنوا من إنشاء دولتهم على أنقاض الدولة الأيوبية عام 651هـ/1253م، ينتسبون إلى سلالتين المماليك البحرية لإقامتهم بجزيرة الروضة لبحر النيل، والمماليك البرجية كانت إقامتهم في أبراج قلعة القاهرة، (أنظر مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 408).

(226) إسماعيل أحمد ياغي،العالم العربي في التاريخ الحديث ، المرجع السابق، ص 205.

(227) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 307.

(228) روبير مانتيران، المرجع السابق،ج2 ،ص 18.

(229) إسماعيل أحمد ياغي،العالم العربي في التاريخ الحديث ، المرجع السابق، ص 202.

فمن جراء الحروب الاستعمارية بين فرنسا وانجلترا في القرن 18م أن فقدت فرنسا مستعمراتها في العالمين القديم والجديد[230].

إضافة إلا هذا تعتبر مصر ملتقى للمواصلات العلمية ومعبرا تمر به التجارة بين الشرق والغرب، فموقعها الجغرافي وسط إفريقيا وأوروبا وآسيا يمثل مركز للإنتاج والصناعة والاستهلاك ووقوعها في أضيق بقعة بين البحرين المتوسط والأحمر جعل منها محطة مهمة للتجارة بين الشرق و الغرب[231].

في 12 أفريل 1792م قررت حكومة الإدارة الفرنسية غزو مصر وصدرت التعليمات إلى نابليون بتجهيز الحملة وقيادتها، ولقد اهتمت حكومة الإدارة بالقرار الذي أصدرته بكوات المماليك بالتحالف مع البريطانيين أنهم نتيجة لذلك قد ضيقوا الخناق على المصالح الفرنسية وعاملو الرعايا الفرنسيين معاملة سيئة في مصر[232].

اعتبر البعض الحملة الفرنسية على مصر مناورة سياسية داخلية عمدت من ورائها حكومة الديراكتوار (الحكومة التنفيذية) الفرنسية إلى إبعاد[233] نابليون عن فرنسا لازدياد حب الجماهير له بعد انتصاره على النمسا[234].

(230) إسماعيل أحمد ياغي،العالم العربي في التاريخ الحديث، نفس المرجع، ص 202.

(231) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516م- 1922م)، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، (د. م. ن)، 1996م، ص 221.

(232) نفس المرجع، ص 232.

(233) جلال يحي، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر = سيطرة أوروبا على العالم، المكتب الجامعي الحديث، (د. ط)، الإسكندرية، (د. س. ن)، ج4، ص 393.

(234) محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، (د. ط)، عمان، 1989، ص 63.

لقد كانت خطوات الحملة الفرنسية مدروسة بعناية شديدة قبل القدوم ولم تكن مفاجئة[235]، حيث أدركت فرنسا منذ زمن بعيد أهمية البحر المتوسط والبلاد المطلة على هذا البحر[236].

طلبت الحكومة من نابليون ضرب بريطانيا فوجد هذا الأخير أن ضربها من خلال مصر باتجاه الهند أسهل من مهاجمتها بشكل مباشر[237]، فالنمو السريع للنفوذ البريطاني في الهند[238] كان قد أشعل حماسة الفرنسيين لاسترداد تفوقهم السابق فرأوا في وصول قوة فرنسية إلى برزخ السويس تهديد للمركز الإنجليزي في الهند، حيث قال نابليون بونبرت "ليس ببعيد الوقت الذي سنشعر فيه أنه يلزمنا الاستيلاء على مصر للقضاء حقيقة على إنجلترا" وفي 23(شباط) فيفري 1798م بونابرت سلم باريس مشروعا وافقت عليه حكومة الإدارة[239] لجعل ذلك قاعدة لضرب بريطانيا في الشرق، وتحويل التجارة من طريق رأس الرجاء الصالح إلى طريق البحر الأحمر[240].

يقول بعض الكتاب أن فرنسا وا ٍن لم تحتل مصر فإنها كامنة كمون الفهد الجريح تنتظر الفرصة المناسبة فتقفز وتنشب أظفارها بعدوها[241].

---

(235) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية ،المرجع السابق ، ص 603.

(236) شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء، ط2، الرياض، 1422ه/2002م، ص 267.

(237) جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص 119.

(238) أ. ج. جرانت هارولد تمبرلي، أوروبا في القرنين 19 و20م – 1789م/1950م، تر: بهاء فهمي، مر: أحمد عزت عبد الكريم، مؤسسة سجل العرب، (د. ط)، (د. م. ن)، 2001، ص 154.

(239) ألبير سوبول، تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسي، منشورات البحر المتوسط ومنشورات عويدات، ط4، باريس، 1989م، ص 508.

(240) ودان بوغوفالة، الثورة الفرنسية وبونابرت في الكتابات المغاربية خلال القرن 13ه- 19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف نصر الدين سعيدوني، جامعة بوزريعة، قسم التاريخ، الجزائر، 1421ه/2000م-1422ه/2001م، ص 63.

(241) أ. ز، تحرير مصر، تر: محمد لطفي جمعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د. ط)، القاهرة ، 2012م، ص 48.

2. سير الحملة الفرنسية:

اعتزمت الحكومة الفرنسية فتح البلاد المصرية لعرقلة طريق الهند أمام الإنجليز، حتى يضطروا إلى قبول الصلح وعهدت إلى الجنرال بونابرت تنفيذ هذه الخطة الجريئة[242]، وفي عهد السلطان سليم الثالث احتل بونابرت مصر سنة 1798م،[243]، وتولى نابليون بونابرت[244] قيادة الحملة الفرنسية على مصر عندما كان ضابطا في الجيش الفرنسي[245]، وفي سنة 1798م أمرته الجمهورية الفرنساوية بالمسير إلى مصر لفتحها دون إعلان حرب على الدولة العثمانية[246]، في 19 ماي 1798م أبحرت الحملة من ميناء طولون، وقطعت البحر المتوسط من الغرب إلى الشرق[247]، وفي 17 محرم 1213هـ (أول يوليو) جويلية وصل بونابرت إلى الإسكندرية[248] فسيطر عليها إثر معركة قرب الأهرام[249]، وفي 13 (يوليو) جويلية [250] قهر نابليون جيش المماليك[251] ثم احتل المدينة (القاهرة)[252].

(242) جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن 19م، مؤسسة هنداوي، (د. ط)، القاهرة، 2012م، ص 11.

(243) جرجي زيدان، مصر العثمانية، تح: محمد حرب، دار الهلال، (د. ط)، الإسكندرية ، 2003م، ص 278.

(244)نابليون بونابر ت: من مواليد أوت 1769م من منطقة أجاكسيوا عاصمة كوستاريكا الفرنسية، تخرج ضابطا من الكلية الحربية قسم المدفعية، في 1785م حارب الإنجليز وطردهم عام 1793م، أوكلت إليه قيادة الحملة المصرية عام 1798م، توفي في 1821م، (أنظر: تركي ظاهر، أشهر القادة السياسيين من يوليوس قيصر إلى جمال عبد الناصر، ص 20).

(245) تأليف لجنة في وزارة التربية، تاريخ أوروبا وأمريكا الحديث والمعاصر، (د. د. ن)، ط6، (د. م. ن)، 1435هـ/2014م، ص 26.

(246) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 372، 373.

(247) إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث ،المرجع السابق، ص 207.

(248) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 373.

(249) جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص 120.

(250) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 213.

(251) أحمد نجيب هاشم ومحمد مأمون نجا، أطلس تاريخ القرن 19م، مكتبة النهضة المصرية، ط1، مصر، 1938م، ص 19.

(252) جميل بيضو ن وآخرون، المرجع السابق، ص 120.

اتخذ نابليون في بداية أمره سياسة التقرب من السكان لكسب ودهم[253] ،حيث كتب قائلا "إن السياسات التي كانت أفضل ما لاحظت من مهارة الشعوب المصرية هي تلك التي اعتبرت أن الدين هو العقبة الأساسية لاستقرار السلطات الفرنسية"[254].

فأعلن أنه جاء حليفا للباب العالي العثماني[255] ،وقام بونابرت بتوزيع منشور باللغة العربية أدعى فيه بأنه جاء لتحرير مصر من المماليك الذين استبدوا في البلاد وادعى أنه مسلم[256] ،فلبس زيي المشايخ وتردد على المساجد[257]، وعمل المولد النبوي بالأزبكية[258] وأطلق عليه اسم السلطان الكبير[259].

يذكر نابليون في منفاه بسانت هيلانة (تابعة للتاج البريطاني) حيث راح يستعيد أحداث الحملة بمصر فلم يتردد عن الاعتراف بدور رجال الدين والعلماء، ولم يغفل قط عن كسب رضاهم[260]، فلم يسبق لأي مستعمر أوروبي أن واجه الإسلام باستعدادات أكثر تعاطفا[261] ،إلا أن الشعب المصري لم ينخدع بالكلام المعسول وأدرك أن نابليون كان يكذب عليهم، وقد بدا ذلك واضحا يوم دخول الفرنسيين الجامع الأزهر حيث نهبوا

---

(253) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي = العهد العثماني، المكتب الإسلامي، ط4، (د. م. ن)، 1421هـ/2000م، ص 170.

(254) زينب عبد العزيز، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيين، (د. د. ن)، (د. ط)، (د. م. ن)، 1998م، ص 69.

(255) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 213.

(256) محمد عبد الله عودة، ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص 68.

(257) نفس المرجع، ص 108.

(258) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار =تاريخ الجبرتي، (د. د. ن)، (د. ط)، (د. م. ن)، (د. س)، ص 711.

(259) إلياس طنوس الحويك، تاريخ نابليون الأول، دار مكتبة الهلال، (د. ط)، بيروت ، 1981م، مجلد2، ص 124.

(260) مصطفى عبد الغني، الجبرتي والغرب =رؤية حضارية مقارنة، المكتبة الثقافية، (د. ط)، (د. م. ن)، 1995م، ص 35.

(261) زينب عبد العزيز، المرجع السابق، ص 70.

وداسوا المصاحف[262]، مما أثار هياج الشعب المصري فكانت ثورة القاهرة الأولى في 21 أكتوبر 1798م ،التي نتج عنها إعدام المشايخ ومصادرة أملاكهم وفقد نابليون كل إمكانية التعاون مع الشعب المصري، خاصة بعد[263] علمهم بواقعة أبي قير البحرية[264] ،في 01 (أغسطس) أوت 1798م[265]، ففي هذه المعركة استطاع نلسن أمير البحر الإنجليزي الشهير تدمير المراكب والسفن الحربية الفرنسية[266] ولم يكتفي الإنجليز بذلك فأرسوا سفنهم في مداخل ميناء الإسكندرية ومخارجه عن اليمين وعن الشمال وبسطوا سطوتهم وسيطرتهم عليه ومنعوا الدخول والخروج، وحاصروا الفرنسيين في ذلك الميناء[267] ،بعدما أحس الجميع بخطورة الوضع وضرورة مقاومة نابليون الذي تعتبر كل خطوة منه انتصارا[268] وتسلطن الإنجليز على البحر المتوسط وقطعت المواصلات بين بونابرت وفرنسا[269].

---

(262)جميل بيضون و آخرون، المرجع السابق، ص 120.

(263) إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر =قارة إفريقيا، دار المريخ للنشر، (د. ط)، الرياض، 1413هـ/1933م، ج2، ص 19.

(264) وديع ابو زيدون، المرجع السابق، ص 214.

(265)نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعار ك التاريخية =معارك، غزوات، حروب، ثورات، وقعات، أيام فتوحات، مذابح عبر العصور التاريخية منذ فجر التاريخ وحتى عام 2005م، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1432هـ/2011م، ص 27.

(266) وديع أبو زيدون المرجع السابق، ص 214.

(267)عزت حسين أفندي الرارندلي، الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني =مخطوطة "ضيا ناما" للرارندلي، تر: مجيد عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، (د. م. ن)، 1999م، ص 166.

(268) dd barou, histoire politique des peuples musulmans de puis mahomat jusqua nos jours, tome second charles thomine, paris, 1842, p 231.

(269) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 374.

الحملة الفرنسية على الشام:[270]

أخذ العثمانيون يعدون قواتهم لمهاجمة الفرنسيين في مصر بالتعاون مع الأسطول البريطاني، غير أن نابليون سبقهم وغزا بلاد الشام[271] فكان خروجهم من القاهرة في 10 فيفري 1799م[272] موضحا أن هدفه من الحملة على بلاد الشام هو مطاردة المماليك الذين لجؤوا إلى سوريا، وفتح طريق التجارة مع سوريا[273] فاحتل العريش وغزة ثم تقدم إلى يافا فاضطرت حاميتها إلى الاستسلام ثم واصل سيره إلى عكا فحاصرها، لكنها كانت محصنة واستمات سكانها في الدفاع عنها[274] ،وساعدهم على المقاومة استيلاء سدني سميث[275] على مدافع الحصار[276]، ولما علم نابليون بتقدم الجيوش العثمانية والبريطانية نحو جزيرة رودس دخل إلى القاهرة في 21 ماي 1798م[277] ،وبعد عودة الحملة إلى مصر انتصر بونبرت في معركة أبي قير البرية ،في 25(يوليو) جويلية 1799م على القوة العثمانية التي أخذت طريقها من رودس إلى مصر[278].

وفي 10 (يونيو) جوان 1799م كان نابليون يتذمر من مدة طويلة للانقطاع أنباء أوروبا عنه فتصفح الجريدة بلهفة شديدة فعثر فيها على الحال السيئة التي صارت إليها شؤون

(270) محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص 69.

(271) الشام: كانت في بادئ الأمر تمتد حتى نهر الفرات في ثلاثة ولايات وهي: دمشق، طرابلس، حلب، ثم أضيف إليها الرابعة سنة 1660م وهي صيدة (أنظر: غنية بعيو، التنظيمات العثمانية وأثارها على الولايات العربية، ص 25).

(272) أحمد حاظ عوض، المرجع السابق، ص 288.

(273) نجاة سالم البطوش، الحملة الفرنسية على مصر والشام، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2012، ص 236.

(274) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي = العهد العثماني، المرجع السابق، ص 471.

(275) سدني سميث: أميرال انجليزي ولد سنة 1764م كلفه الأميرال هودجين عندما كان محتلا لمدينة طولون بحرق الدونانمة الفرنسية فحرقها في سنة 1739، ثم أخذ أسيرا في فرنسا وبقي بها سنتين مسجونا بسجن الطانبل بباريس ثم هرب فساعد على الدفاع عن مدينة عكا وعين أميرالا سنة 1821م، توفي في 1841م. (أنظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ص 375).

(276) نجاة سالم البطوش، المرجع السابق، ص 239.

(277) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 216.

(278) إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص 210.

فرنسا[279] وهي أن حكومة الثورة الفرنسية في وضع حرج داخليا ووضع صعب خارجيا إذ تشكل حلف أوروبي ضدها[280] ،فغادر إلى فرنسا سرا وترك مكانه الجنرال كليبر[281] قائلا: "إن أخبار أوروبا جعلتني أقرر العودة إلى فرنسا، فأنا ألقي إلى الجنرال كليبر بمقاليد قيادة الجيش وعن قريب ستصل إلى هذا الجيش الأنباء عني" فخرج بونبرت من مصر[282] في 22 (أغسطس) أوت 1799م[283] ،وفي 16 أكتوبر بلغ مرفأ يجوس بعدما نجا من الأميرال سدني سميث الجاد في أثره[284]فعودة نابليون الفجائية قد أعادت للشعب الفرنسي الأمل في أن يعيد لفرنسا مركزها[285]، وبرز نابليون بعد عودته من حملته المصرية التي أعقبت ذلك بوصفه رجل دعاية حربي لا يقهر[286].

قاد كليبر القوات الفرنسية وأصبح وكيلا عنه، إلا أن الجيش الفرنسي الذي تركه نابليون لم يكن بتلك القوة السابقة[287] فوجد كليبر أنه لا فائدة من بقاء الحملة[288] ورأى أنه من الأفضل أن يغادر مصر لمصلحته ولمصلحة فرنسا[289] ولذلك فقد أستأذن حكومته للمفاوضة مع الدولة العثمانية فسمحت له بذلك وأجرى اتفاقا في مدينة العريش[290]، في

---

(279) إلياس طنوس الحويك، المرجع السابق، ص 124.

(280) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي =العهد العثماني، المرجع السابق، ص 472.

(281) إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 20.

(282) إلياس طنوس الحويك، المرجع السابق، ص 139.

(283) عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث =من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، (د. م. ن)، 1997، ج1، ص 415.

(284) إلياس طنوس الحويك، المرجع السابق، ص 139.

(285) شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د. ط)، القاهرة ، 2006، ص 230.

(286) فيليب تايلور، قصف العقول =الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي، تر: سامي خشبة، (د. د. ن)، (د. ط)، (د. م. ن)، 1978، ص 256.

(287) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 216.

(288) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي =العهد العثماني، المرجع السابق، ص 472.

(289) أ. ج. جرانت هارولد تمبرلي، المرجع الساق، ص 156.

(290) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي =العهد العثماني، المرجع السابق، ص 472.

24 (يناير) جانفي 1800م التي نصت على جلاء الفرنسيين عن مصر بكامل أسلحتهم وعتادهم وعودتهم إلى فرنسا.

- هدنة لثلاثة شهور قد تطول مدتها إذا لزم الأمر ويتم خلالها نقل الحملة.
- الحصول من الباب العالي أو حلفائه – أي الإنجليز وروسيا على بلاده أن تتعهد الدولة وحلفائها بعدم التعرض لهذا الجيش بأي أذى[291] إلا أن بريطانيا رفضت السماح للجنود الفرنسيين بمغادرة مصر إلا أسرى الحرب[292]، بعد أن تبددت مخاوفها من أي خطر فرنسي محتمل على ممتلكاتها في الهند[293].

وقد تمكن القائد كليبر في اثر ذلك من دحر جيش الأتراك في عين شمس ومطاردتهم من الشام فثار سكان القاهرة، وخرب الفرنسيون الكثير من أحيائها[294] فكانت ثورة القاهرة الثانية قد استمرت مدة شهر تقريبا من 20 مارس إلى 20 أفريل سنة 1800م[295] ،وبعد محاربة عنيفة فاز كليبر بالنصر[296]، ثم تقدم شاب اسمه سليمان من مدينة حلب وأوعد بقتل الجنرال كليبر، وكان له ذلك في 21 محرم 1215هـ/14 جوان 1800م[297]، ثم خلفه الجنرال مينو في القيادة، حيث لم يكن يتمتع بالكفاءة العسكرية ولم يكن محبوبا لدى

(291) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 609.

(292) جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص 121.

(293) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 315.

(294) محمد صبري، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1926، ص 23.

(295) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 610.

(296) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 377.

(297) نقولا الترك، الحملة الفرنسية على مصر والشام، تق: ياسين سويد، دار الفارابي، ط1، لبنان، 1990، ص 137.

الجنود الفرنسيين[298] حيث اعتنق دين الإسلام ولقب بـ عبد الله مينو لقيادة القوات الفرنسية في مصر[299].

فهو من أنصار البقاء في مصر، خط سياسة استهدفت توطين الفرنسيين فيها إلا أن الضغوطات الداخلية والخارجية اضطرته إلى مغادرة مصر ،بعد الهجوم المشترك الذي قام به الإنجليز والعثمانيون في مصر[300] واجبر الجنرال بليار على طلب وقف إطلاق النار والتفاوض من أجل الانسحاب من القاهرة وفق ما ورد في معاهدة العريش ،وانتهت المفاوضات بتوقيع الطرفين على اتفاق في 27 جوان 1801م، نص على انسحاب الفرنسيين من القاهرة ومحيطها واخذ أسلحتهم ،بواسطة مراكب بر يطانية في فترة لا تتعدى 50 يوما[301] وشرع الجنرال بليار بالانسحاب من مدينة القاهرة وخروج العساكر منها[302] ،فتدخل إنجلترا عسكريا أجبرهم على الجلاء[303]، ولما ورد هذا الخبر طبعوا منه نسخا كثيرة وفرقوا منها على الأعيان وألصقوا منها بالأسواق والشوارع [304].

وتدخل إنجلترا العسكري كان بسبب أطماعها في احتلال مصر والسيطرة عليها، فبعد خروج الفرنسيين من مصر بقيت القوات الإنجليزية فيها مع بعض القوات العثمانية[305].

(298) محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص 71.

(299) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 216.

(300) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 611.

(301) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 185.

(302) نقولا الترك، المصدر السابق، ص 161.

(303) إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر =قارة إفريقيا، المرجع السابق، ص 20.

(304) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ص 711.

(305) إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر = قارة إفريقيا، المرجع السابق، ص 20.

3. رد فعل الدولة العثمانية اتجاه الحملة:

كانت الحكومة العثمانية تعلم بالاستعدادات الفرنسية منذ شهر مايو، بفضل سفيرها في باريس ولكن شكوك الباب العالي قد ثارت حول أهداف فرنسا، فنابليون تدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، فأجرى مفاوضات مع علي باشا والي يابنا وأرسل الرسل إلى اليونان يحرضهم على الثورة، ولكن الباب العالي لم يكن له من القوة حيث يعلن الاحتجاج ويندفع فاكتفى العثمانيون بالتضييق على روفان القائم بأعمال فرنسا في اسطنبول[306].

احتلت عساكر فرنسا القاهرة وانهزم المماليك[307] في 21 جويلية [308] ولما بلغ ذلك السلطان سليم الثالث اندهش وغضب في آن واحد، فاندهاشه كان من تكرار إظهار نابليون الإخلاص والمودة لهوا إرسال الجوابات عقب كل انتصار، أما غضبه فلدخول العساكر الأجنبية لبلاده[309].

أرسل الباب العالي إلى والي الجزائر فرمانا مؤرخا في أواخر صفر 1213هـ/منتصف أوت 1798م أخبره فيه بأن احتلال نابليون لمصر قد قوض قواعد السلم الذي كان قائما بين الدولة العثمانية وفرنسا، ونصحه بالتزام اليقظة وعدم تصديق الإدعاءات التي تروج لها فرنسا وكشف له عن خطة فرنسا الاستعمارية الرامية إلى

---

(306) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د. ط)، بيروت، 1990م، ص 111، 112.

(307) إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية =التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1408هـ/1988م، ص 191.

(308) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 213.

(309) ابراهيم بك حليم ،المرجع السابق، ص 191.

احتلال الجزائر أيضا[310]، وفي 02 أيلول سبتمبر بعد شهر من كارثة خليج أبو قير[311] أعلن سليم الثالث الحرب على فرنسا[312].

فإعلان الدولة العثمانية الحر ب على فرنسا كان إعلان للجهاد ضد الكفار من قبل السلطان الخليفة في القسطنطينية الذي أدى إلى تفاقم المقاومة المصرية ضد الفرنسيين[313] قام السلطان سليم الثالث باستدعاء روفان لمقابلة الريس أفندي الذي ألقى كلمة قصيرة قال فيها: "إن الباب العالي[314] يؤلمه أن يرى دولة صديقة تستولي دون إنذار على أثمن ولايته، تعتبر قرة الإسلام بقربها من مكة والمدينة، وبناءا على أمر مكتوب بيد السلطان نفسه أن تأخذ فورا إلى قلعة الأبراج السبعة وأن يقبض على جميع القناصل والتجار الفرنسيين المقيمين في أملاك جلالته المحروسة وأن تصادر تجارتهم وأن تحبس أنت وموظفو مفوضيتك حتى تؤدى مصر بعون الله إلى سلطة مولانا الذي لا يقهر"[315]، وتعتبر أثار هذه الحرب كارثية بالنسبة للتجارة الفرنسية في المشرق[316]، ولما علمت بريطانيا باستعداد الدولة العثمانية لحرب ضد فرنسا عرضت عليها مساعدتها في إخراج الفرنسيين من مصر، فوافقت الدولة العثمانية فورا على العرض الإنجليزي[317] ،كان ذلك في الوقت الذي نشطت فيه الدبلوماسية البريطانية والروسية لإقامة تحالف مع

---

(310) حماش خليفة إبراهيم، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798- 1830م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: جليل عبد الحميد عبد العال، جامعة الإسكندرية، قسم التاريخ والآثار،(د د ن) ،1408هـ/1988م، ص 203.

(311) محمد أسد الله صفاء، أعلام الحرب =نابليون، دار النفائس، ط1، لبنان، 1409هـ/1988م، ص 109.

(312) روبير مانتير ان ،المرجع السابق، ج2، ص 17.

(313) محمد أسد الله صفا، المرجع السابق، ص 109.

(314) البالب العالي: الاسم الرسمي لحكومة الإمبراطورية العثمانية. (أنظر: أليكسندروفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية =في ثلاثينات وأربعينات القرن 19م، ص 174).

(315) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 113.

(316) روبير مانتيران ، المرجع السابق، ج2، ص 17.

(317) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 214.

الدولة العثمانية ضد فرنسا، فعقدت بريطانيا محالفة مع الدولة العثمانية في 28 رجب 1213هـ/05 جانفي 1799م[318]، وأهم ما جاء فيها ما يلي:

- تعهد كل طرف بضمان أملاك الطرف الآخر.
- ضرورة مواصلة الحرب ضد فرنسا حتى إخراجها من مصر.
- عدم إقدام أحد الطرفين المتعاقدين على إبرام صلح منفرد مع الأعداء من دون موافقة الطرف الآخر[319]، وكذلك عرضت عليها روسيا إمدادها بمراكبها الحربية وانضمام دونانماتها إلى الدونانماتين العثمانية والإنجليزية فقبلت كذلك الدولة العثمانية[320] فعقدت بينهما محالفة دفاعية هجومية في 25 رجب 1213هـ/23 جانفي 1798م[321]، ولأول مرة اتفقت الدول الثلاث على عمل حربي[322] موحد رغم ما بينهما من عداوات سابقة ومصالح متضاربة[323].

استغل الإنجليز احتلال فرنسا لمصر في دفع القسطنطينية إلى مطالبة الجزائر بإعلان الحرب على فرنسا ،لكن الجزائر رفضت، وصدر لها أمر ثاني من القسطنطينية في نوفمبر 1800م ورفضت الجزائر ثانية، فوجهت القسطنطينية مبعوثا خاصا في 19 ديسمبر للمطالبة بضرورة شن الحرب على فرنسا ،فاضطرت الجز ائر إلى إعلان الحرب في 24 جانفي 1801م ولكن مصطفى باشا اتصل مع ذلك بالقنصل الفرنسي ومنحه الوقت اللازم لتمكين الفرنسيين من مغادرة الجزائر مستصحبين معهم أموالهم ،ولكن

---

(318) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 311.

(319) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 311.

(320) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 375.

(321) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 311.

(322) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 375.

(323) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 215.

الحرب لم تطل إذ أبرمت معاهدة صلح بين الجزائر وفرنسا في 18 ديسمبر 1801م[324].

وعندما كان العثمانيين يقومون في بلاد الشام باستعدادات جهادية ضد الحملة الفرنسية في مصر، اتخذ بونابرت قرار بأن يسبق أعدائه في شن هجوم عليهم قبل أن يهاجموه[325].

فحصار الأسطول الإنجليزي لشواطئ مصر حرم الفرنسيين من الحصول على الإمدادات اللازمة فكان احتلال سوريا يحول دون حصول الأسطول على إمداداته فكل ذلك دفع نابليون بحملته على بلاد الشام[326]، وأثناء قيام بونابرت بمحاصرة مدينة عكا لم يتمكن من فتحها لوصول المدد إليها تبعا من طريق البحر واستيلاء الأميرال الإنجليزي سدني سميث على مدافع الحصار التي أرسلها من مصر لإطلاقها على الأسوار[327]، ولما علم بونابرت بتقدم الجيوش المتحالفة (العثمانية، البريطانية والروسية) رجع إلى القاهرة ودخلها في 21 ماي 1799م[328]، وبعد رحيل بونابرت إلى فرنسا أقبل كليبر مكانه على تصريف الأمور[329] فطلب من الصدر الأعظم فتح باب المفاوضات من أجل جلاء الفرنسيين وأسفرت عما يسمى باتفاقية العريش، في 24(يناير) جانفي 1800م[330]، غير أن قائد الأسطول الإنجليزي نلسون أخبر كليبر أن انجلترا لا توافق على اتفاقية العريش إلا بشرط واحد أن يعد الفرنسيون في مصر أسرى حرب، يسلمون

(324) مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، (د. ط)، الجزائر، 1964، ج3، ص 250.

(325) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 608، 609.

(326) نجاة سالم البطوش، المرجع السابق، ص 235.

(327) محمد فريك بك، المصدر السابق، ص 375.

(328) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 215.

(329) إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص 212، 213.

(330) نفس المرجع، ص 212، 213.

سلاحهم في مصر للدولة العثمانية وحلفائها ،وبهذا فقد نقضت هذه الاتفاقية وجددت أعمال القتال[331].

وبعد مقتل كليبر في 14 جوان 1800م، أيقن الإنجليز والعثمانيون بالغلبة على الفرنسيين وأنزلوا في منطقة أبي قير 30.000 مقاتل في أوائل عام 1801م فسار القائد مينو لمحاربتهم فانهزم أمامهم في 21 مارس 1801م ورجع إلى مدينة الإسكندرية ليتحصن بها[332].

وسار الإنجليز والعثمانيون إلى القاهرة وحاصروا الفرنسيين الباقين فيها ،تحت قيادة بليار فرأى هذا القائد أنه لا مفر من التسليم ،فاتصل بالقائدين العثماني والإنجليزي وطلب منهما إخلاء وادي النيل ،بشرط خروج الفرنسيين بأسلحتهم فوافقوا على طلبه[333] ،وأمضيا معه اتفاقية في 28 جوان 1801م[334]، واضطر مينو إلى التسليم في سبتمبر 1801م بشروط اتفاقية العريش ،وهكذا اضطر الفرنسيون إلى مغادرة مصر[335].

كانت إنجلترا عاملا فعالا في إخراج الفرنسيين من مصر ،من خلال الجهود التي بذلتها في الميدان الأوروبي والشر ق الأدنى[336] ،مثل تحطيم أسطولهم في معركة أبي قير البحرية ،وسيطرتهم البحرية في البحر المتوسط وتشديدهم الحصار على الشواطئ المصرية ،مما أعجز الحكومة الفرنسية عن إرسال النجدات إلى جيوش فرنسا[337].

ثم تخابر بونابرت الذي كان قد عين رئيسا للجمهورية الفرنسية مع سفير الدولة العلية المدعو أسعد أفندي وأظهر له ضرر اتحاد الدولة مع روسيا وا ٍنجلترا ،فأقنعه

---

(331) محمود شاكر، تاريخ الإسلامي =العهد العثماني، المرجع السابق، ص 472، 473.

(332) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 377، 378.

(333) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 215.

(334) إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص 212، 213.

(335) نفس المرجع، 217.

(336) ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص 259.

(337) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 611.

بوجوب تجديد العلاقات الودية مع فرنسا وبعد الحصول على إذن من الدولة العلية ،أمضى بونابرت معاهدة بتاريخ 19 أكتوبر 1801م أساسها إخلاء مصر وتأييد امتيازات فرنسا السابقة بالشرق(338).

أثرت الحملة في تغيير طبيعة العلاقات بين بريطانيا والدولة العثمانية، حيث كانت العلاقات تجارية بحتة وكانت سياسة بريطانيا نحو الدولة العثمانية تتجدد بتجدد المصالح التجارية البريطانية في أنحاء الدولة العثمانية ،ولاسيما مصالح شركة ليفانت ،فأصبحت العلاقات في مركز الصدارة، وأدت أيضا إلى تدخل بريطانيا السياسي في منطقة الخليج العربي فاحتلت جزيرة بريم وانتقلت نحو عدن(339).

ومن مظاهر التقارب العثماني الفرنسي: القضاء على جميع المشكلات التي نتجت عن النزاع بين البلدين زمن الحملة الفرنسية ومنها مشكلة الأسرى الفرنسيين ولذلك اتفقت الحكومة العثمانية مع فرنسا على إطلاق سراح هؤلاء في 1801م(340)، وفي سنة 1802م استطاعت فرنسا أن تعيد علاقتها الدبلوماسية والتجارية مع الدولة العثمانية فعقدت معها معاهدة سلام في 25 جوان 1802م وهي خاص بموضوع المضائق، حيث أن الدولة العثمانية منحت فرنسا الحق في أن تمارس سفنها التجارية والتي تحمل العلم الفرنسي حق عبور المضائق، والملاحة في البحر الأسود(341)، وتتضمن أيضا: -عودة مصر إلى حكم الدولة العثمانية مع ما كان لها من حقوق .

- إقامة جمهورية مستقلة في جزر اليونان تحت حماية الباب العالي.
- تتعهد الدولة العثمانية برد كل ما صدر من أملاك الفرنسيين و اعادة امتيازاتها السابقة الممنوحة لها بموجب معاهدة 1740م(342).

---

(338) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 379.

(339) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516- 1922م)، المرجع السابق، ص 238.

(340) ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص 263.

(341) عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 165.

(342) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 317.

وقد استأنفت المراسلات مرة أخرى منذ عام 1804م بين السلطان سليم الثالث ونابليون وكانت مليئة بالود والملاطفة خاصة وأن العلاقات العثمانية الروسية لا تزال متوترة[343].

4. فرنسا ومحمد علي باشا:

مهدت الحملة الفرنسية على مصر للقضاء على النظام العثماني المملوكي في مصر، وزعزعت الدعائم العسكرية والسياسية لهذا النظام لتسرب الشك إلى نفوس المصريين في قوة النظام الذي خضعوا له ،وبداوا يفقدون إيمانهم به[344] ،وأصبح مستقبل مصر السياسي أمر يدخل في دائرة اهتمام الدول الكبرى في النظام الأوروبي، خاصة بريطانيا وفرنسا من أجل خلق نظام وقيادات سياسية موالية لها في مصر، ولم يخفى عليها أن الدولة العثمانية غير قادرة على بسط سلطتها على مصر في ظل ضعفها[345].

عندما أعلن الخليفة الحرب على الفرنسيين لغزوهم مصر، فأصدر الأوامر بجمع الجيوش في أنحاء الدولة فجمع حاكم قولة الشربجي فرقة المتطوعين بقيادة ابنه علي أغا ورفاق محمد علي باشا[346] هذه الفرقة وكيلا له عليها[347] وكاد محمد علي يشرف على الغرق لولا السير سدني سميث ،الذي انتشله من الماء وأنزله في سفينته. ورجع بعدها محمد علي إلى بلدته[348] قبل كل هذا كان محمد علي باشا قد تعرف على فرنسي يقال له الميسيو ليون كان على رأس محل تجاري في(قولة) منذ سنة 1771م، فاستوقف انتباهه

(343) ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص 262.

(344) إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص 218.

(345) محمد عادل عبد العزيز، انهيار الخلافة وتوابعه على مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، القاهرة، 2007، ص 12.

(346) محمد علي: ولد محمد علي في قولة على الساحل المقدوني لبلاد اليونان سنة 1769م ولم يحض بتربية مدرسية صحيحة وفضل الاشتغال بالتجارة فعمل في تجارة التبغ ،كلف السلطان العثماني سليم الأول والي اليونان أن يرسل كتيبة مؤلفة من 300 مقاتل لمصر لمحاربة الفرنسيين. (أنظر جميل بيضون وآخرون، تاريخ العرب ص 78، 79).

(347) عمر الإسكندري وسليم الحسن، صفحات من تاريخ مصر = تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر ،مر: أج سندج ، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1996م، ص 112.

(348) نفس المرجع، ص 112.

لمحمد علي شدة ذكائه وحسن حكمه على الأمور في شؤون قلما يدركها من كان في مثل سنه فأخذ يزوده بالنصائح والإرشادات الثمينة ،فأصبح ميالا إلى الفرنسيين أكثر من غيرهم[(349)].

بعد الحملة الفرنسية بدأ النزاع بين الباب العالي والمماليك على السيادة في مصر[(350)] فظهرت قوة أخرى من أجل السيطرة على مصر، حيث جاءت في بادئ الأمر لمحاربة الفرنسيين وا إخراجهم منها بقيادة محمد علي[(351)].

كانت فرنسا على علاقة ودية مع محمد علي[(352)] فرغم خروج الفرنسيين من مصر إلا أنها استطاعت أن تكون لها نوع من الإشراف على الأحوال السائدة فيها نظرا لما تتمتع به من تفوق حربي ممتاز على قوات إنجلترا و حلفائها في الميدان الأوروبي[(353)] أرسل نابليون أحد رجاله إلى مصر وهو الكولونيل سياستياني ليتعرف على نيات الإنجليز فأخذ يطالب إنجلترا بالجلاء عن مصر، إلا أن تم انسحاب القوات البريطانية في مارس 1803م[(354)] واستقر رأي فرنسا على إيفاد أحد أعضاء السلك القنصلي إلى مصر وهو مايتولسيس والدفرديناند دي سيس ليختار من بين الشخصيات الهامة في مصر شخصية تمتاز برجاحة العقل وقوة الشخصية ومضاء العزم على إعادة النظام للبلاد بشرط الاستعداد لخدمة المصالح الفرنسية فوقع اختياره على محمد علي[(355)] فلقد استطاع

---

(349)الياس أيوبي، محمد علي وسيرته و أعماله وأثاره، إدارة الهلال ،(د ط)، مصر، 1933، ص 12.

(350) عمر الإسكندري وسليم الحسن، المرجع السابق، ص 123.

(351) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517- 1922، دار المعرفة الجامعية،(د ط)،(دم ن)،2009 ، ص 105.

(352) حلمي محروس إسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، (د ط)، الإسكندرية، 1997م، ص 105.

(353) محمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، مكتبة الإسكندرية، (د ط)، (د م)، 1998م، ص 42.

(354) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر من 1517- 1922، المرجع السابق، ص 104.

(355) محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 104.

الفرنسيون أن يزرعوا أفكارهم ويجدوا لهم عملاء في المنطقة واستفادوا من الدور الذي قام به محمد علي باشا[356].

ولما خرج الفرنسيون من مصر نصب محمد علي قائدا على 4000 جندي ألباني فأرسله خسرو باشا الوالي العثماني الجديد إلى منطقة الصعيد لمحاربة المماليك، ولكن محمد علي وصل متأخرا ففكر خسرو في الغدر به، فتحالف محمد علي مع عثمان البرديسي زعيم المماليك وتمكن من عزل الوالي خسرو سنة 1803م[357].

استفاد محمد علي من الوضع الذي آلت إليه مصر على أيدي الفرنسيين الذين قضوا على العناصر الكفوءة فيها[358] ثم عمل محمد علي على الإيقاع بين محمد الألفي وبين البرديسي فألجئوه إلى الهروب، خلى الجو لمحمد علي في القاهرة فنصح العلماء والمشايخ بتنصيب خورشيد باشا واليا عليهم وفعلا تم ذلك فكان الباب العالي في هذه الفترة قد عين محمد علي واليا على جدة فاستغل الظروف وتحالف مع المشايخ والعلماء[359] وقد كشف تطور الأحداث أن المخطط الفرنسي استهدف أولا تصفية قيادات الأرنؤود لصالح محمد علي ثم يعمل على تصفية كل القوى الموجودة على الساحة في مصر لصالح الأرنؤود الذين كانت لهم الكثرة العددية وبعد ذلك يحسم الأمر لصالح محمد علي عن طريق اضطرار الباب العالي إلى تعيين محمد علي واليا على صالونيك[360] كان محمد علي كلما جنا عليه الليل اتخذ طريقه على دار عمر مكرم يتملقه باعتباره كبير زعماء الشعب ويبذل له الوعود بأنه إذا أتيح له حكم مصر فسيكون حريصا على الالتزام بالعدل وهكذا

---

(356) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 613.

(357) محمد صبري، المرجع السابق، ص 32.

(358) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي =دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا مطلع العهد العثماني أواسط القرن 19م، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2007، ص 426.

(359) محمد صبري، المرجع السابق، ص 34.

(360) محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 17.

سرقت فرنسا آمال الشعب بزعيم مزيف حقق لفرنسا ما سمحت به الظروف من مكاسب[361] فهدف محمد علي هو بناء دولة حديثة وقوية قاعدتها مصر المستقلة عن الدولة العثمانية وهذا الأمر يتطلب إيجاد حليف أوروبي يساعد مصر على بناء جيش قوي يدافع عن قضيتها داخل النظام الأوروبي[362].

واجتمع زعماء الشعب المصري وأعلنوا عزل الوالي التركي خورشد باشا واختاروا محمد علي واليا على مصر في 13 (أيار) ماي سنة 1805م[363] وكتب ماتي بلسيس ممثل فرنسا في مصر إلى حكومته أنه يعتقد أن البهبماشي محمد علي هو أقدر الزعماء الحاليين في مصر على التغلب على الفوضى الضاربة وا ٕطنابها في البلاد[364] واشترط على محمد علي دفع ضريبة معينة لخزينة الدولة والتنكيل بالوهابيين وتخليص الحجاز من سيطرتهم وفي 19 جوان 1805م رأت الحكومة العثمانية أن محمد علي شخصية قادرة على إقامة إدارة قوية في مصر[365].

وكان محمد علي من الناحية السياسية يميل إلى السياسة الفرنسية فيعمل بخط موازي لها وتدعمه ما دامت تجد في ذلك مصلحة لها[366] حيث كانت ترى دعم محمد علي يحق لها أطماعها المستقبلية في حفظ وتقوية محافلها الماصونية وا ٕضعاف الدولة العثمانية وزرع خنجرها المسموم في قلب هذه الدولة[367] تمكن محمد علي في طور نهوضه الأول لمساعدة المصريين والفرنسيين بالتغلب على المصاعب الخارجية التي

---

(361) محمد عادل عبد العزيز، نفس المرجع، ص 29.

(362) محمد عبد الستار البدري، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2001، ص 56.

(363) جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص 78.

(364) محمد صبري، المرجع السابق، ص 34.

(365) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، المرجع السابق، ص 426.

(366) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي =العهد العثماني، المرجع السابق، ص 466.

(367) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 619.

كانت تحيط بتوليته بسبب معارضة إنجلترا والباب العالي[368] ففي عام 1806م نجح بونابرت في القضاء على التحالف الإنجليزي العثماني وقد تطور الموقف السياسي والعسكري في أوروبا في غير صالح الإنجليز بسبب التقارب والتفاهم الذي حدث بين الإمبراطور نابليون الأول والسلطان سليم الثالث.

أرسلت إنجلترا حملة بقيادة فريزر عام 1807م نزلت بالإسكندرية واحتلتها، فقاومها السكان واضطرت إلى الانسحاب وجاء محمد علي ليقف في وجه الحملة الإنجليزية[369] ثم تبدأ الخطوة الثانية في تصعيد محمد علي إلى كرسي حكم مصر بتصفية الانكشارية ويتفق مع المماليك بالتخلص منها كلية ومن أحمد بشا أيضا[370].

كانت العلاقات بين الدولة العثمانية ومحمد علي تسير بعدم الثقة المتبادلة بين الطرفين[371]، وبعد معركة المورة (نافرين) خرج منها محمد علي في 1827 دون أن يحقق كسبا عدا إحساسه بأنه أصبح ندا للسلطان، أما مصر فقد كسبت مركزا دوليا ولم تعد مجرد ولاية عثمانية[372] وضم بلاد الشام إلى مصر كان فكرة قد راودت ذهن محمد علي منذ العشرينات من القرن 19م فقد كان دائم التدخل في شؤونها الداخلية كلما سمحت له الظروف بذلك[373].

رأى محمد علي أن أول محاولة للاستقلال عن الدولة العثمانية متمثلة في الحركة الوهابية ثم في ثورة اليونان وكذلك التجربة الفرنسية في احتلال الجزائر، وكانت ولاية

---

(368) محمد صبري، المرجع السابق، ص 36.

(369) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي =العهد العثماني، المرجع السابق، ص 466.

(370) محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 29.

(371) محمد عبد الستار بدري، المرجع السابق، ص 59.

(372) جمال محمود حجر، من قضايا التاريخ الأوروبي في القرن 19 و20م، دار المعرفة لجامعية، (د ط)، (د م)، (د س)، ص 153.

(373) الغالي غربي، المرجع السابق، ص 184.

سوريا حلما يراود خياله، ومن هنا تبين فكرة الاستقلال عن الدولة العثمانية وهو أحد أهم مظاهر[374] المسألة الشرقية [375].

استنتاج:

يمكننا القول بأن فرنسا بسبب رعاية مصالحها الشخصية وأطماعها اللامتناهية لضرب خصومها مثل بريطانيا، عمدت إلى التعدي على أملاك الدولة العثمانية دون أي حساب أو تفكير في العواقب أو الآثار التي كانت وخيمة عليها خاصة من ناحية التجارة، فاحتلالها لمصر وبلاد الشام يعتبر تدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ولأجل ذلك تحالفت الدولة العثمانية مع أعدائها (روسيا وبريطانيا) لضرب حليفتها فرنسا التي قوضت قواعد السلم والصداقة التي كانت قائمة بين البلدين، فقيامها بالحملة المزدوجة على مصر وبلاد الشام كانت أسبابها متباينة ومختلفة، فغزوها لبلاد الشام كان خوفا من التحالف العثماني البريطاني ضدها، وادعت فيها بأنها جاءت لمطاردة المماليك في سوريا وتأديبهم.

وباختصار يمكننا القول أن فرنسا قد أفسدت علاقات الصداقة والود التي كانت تجمعها مع الدولة العثمانية ،والتي يعتبر مكانها مميز بالنظر إلى الدول الأوروبية الأخرى آنذاك، و الذي كان الانقطاع فيها بصفة مؤقتة ،أي منذ بداية الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام إلى غاية 1801 ،حيث كان هناك نوع من العودة مجددا لمستوى العلاقات والاتصالات بين البلدين بعد القطيعة.

(374) جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص 152.

(375) المسألة الشرقية: تعني في قاموس السياسة الأوروبية ضعف الدولة العثمانية خاصة مع بداية القرن أل 16و محاولة الدول الأوروبية تقسيم ممتلكاتها والقضاء عليها و بذلك أصبح يطلق عليها اسم الرجل المريض، أنظر:عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، ص63.

الفصل الثالث:

الأطماع الفرنسية في شمال إفريقيا

(الجزائر نموذجا)

1. العلاقات العثمانية الفرنسية ما بين 1805م-1821م
2. مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر
3. أسباب الاحتلال وسير الحملة
4. المواقف الدولية من الاحتلال الفرنسي للجزائر

1. العلاقات العثمانية الفرنسية ما بين 1805م- 1821م:

استمرت الدولة العثمانية على حالها في القرن 18م من حالة الضعف، في وقت اشتد الضغط الأوروبي وازدادت تدخلاته خلال القرن 19م، وبدا واضحا أن القوى الأوروبية (فرنسا، النمسا، روسيا، إنجلترا) تتحرك للقضاء على الدولة العثمانية واقتسامها تحت ذرائع متعددة[376].

عاد النفوذ الفرنسي إلى سابق عهده من التفوق والظهور في اسطنبول حينما أرسل السلطان سليم الثالث سفارة فوق العادة في عام 1805م لتحية الإمبراطور نابليون بصفته الحليف المخلص للدولة العثمانية[377].

في 26 من (كانون الثاني) ديسمبر سنة 1806م دخل نابليون وجوزيفين إلى باريس فسبب وجودهما في العاصمة الفرنسية حركة حماس عمومي، فكان نابليون يرغب رغبة كبيرة في أن يجعل حكومات أوروبا جميعا تعترف بلقبه الإمبراطوري الذي منحته إياه الأمة الفرنسية، فاعترف به السلطان سليم الثالث علنا إمبراطورا على الفرنسيين فشعر بنوع من التعويض لتلك الإهانة المزدوجة التي ألحقها به اسكندر وجورج الثالث[378].
وتعهد نابليون من جانبه لمواجهة كل ما يضر بمصالح العثمانيين بكل حزم[379].

وفي سبيل إضعاف الإمبراطور الفرنسي نابليون، شنت روسيا حربا برية على الدولة العثمانية لاحتلال ولايتي الأفلاق والبغدان، وأرسل الإنجليز لائحة يطالبون فيها بفك الحلف مع فرنسا وإجلاء الضباط الفرنسيين، والاتحاد مع انجلترا ومنح الولايتين لروسيا بالإضافة إلى إعلان الحرب على فرنسا وإلا فإن الأستانة ستتلقى نيران البحرية

---

(376) محمد علي داهش، الدولة العثمانية والمغرب = إشكالية الصراع والتحالف، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2011، ص 20.

(377) ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص 264.

(378) الياس أبو شبكة، تاريخ نابليون بونابرت 1769م- 1821م، دار صادر،ط1،ط2 1995، 1992، (د م ن)، ص 88، 89.

(379) ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص 265.

الانجليزية[380]، فأرسل مندوبا إلى الجنرال الفرنسي يدعوه للخروج من الأستانة خوفا من تفاقم الأمور، واخبر الجنرال الفرنسي السلطان استعداد فرنسا لمساعدة الدولة العثمانية، وأن نابليون قد أصدر أوامره إلى جيوشه بالتوجه إلى الأستانة لمساعدة العثمانيين في التصدي للقوات الإنجليزية[381]. وقام الملحق الفرنسي بعمل مخطط لتحصين الأستانة بالسر عة القصوى وشكلوا فرقة من 200 عسكري فرنسي لمحاربة الإنجليز وقت الحاجة، وعندما تحقق الأسطول الإنجليزي من ضعف موقفه قام بالانسحاب دون تحقيق مراده[382].

ولم يكن أمام السلطان سليم الثالث أمام تمرد الإنكشارية في هذه الفترة بسبب رفضهم لمشروع الجيش النظامي والإصلاحات الجديدة، إلا أن اصدر أوامره على الفور بإلغاء النظام الجديد وتسريح القوات النظامية، واستمرت هذه الفتنة إلا أن[383]، تم عزل السلطان سليم الثالث، وتولى مكانه عرش السلطنة مصطفى الرابع في 1807 م[384].

غضب نابليون بونابرت أثناء سماعه بخبر خلع السلطان سليم الثالث وغير سياسته مع الدولة العثمانية[385].

وحين وصلت هذه الأنباء إلى الجيوش العثمانية المنشغلة بقتال الروس أظهر الإنكشاريون فرحهم العارم بإبطال العمل بالنظام الجديد في الجيش[386]ثم أعقب ذلك الصلح بين فرنسا وروسيا في معاهدة تلست في 7 (يوليو)جويلية 1807، وجاء البند 28 وما بعده من المعاهدة ليقر بكف روسيا عن الدخول في حرب ضد الدولة العثمانية حتى يتوسط نابليون بين الطرفين، ولكن هذه المعاهدة تضمنت شرطا سريا يقضي في حالة

---

(380) منصور عبد الكريم، المرجع السابق، ص 395.

(381)وديع أبو ز يدون، المرجع السابق، ص 218.

(382) منصور عبد الكريم، المرجع السابق، ص 395، 396.

(383) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 220.

(384) منصور عبد الكريم، المرجع السابق، ص 396.

(385) إبراهيم بك، المصدر السابق، ص 198.

(386) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 221.

عدم قبول الباب العالي وساطة فرنسا أو الإخلال في تنفيذ بنودها بخمسة وثلاثين يوما تتحالف فرنسا مع روسيا على انتزاع جميع الولايات العثمانية بأوروبا ما عدا الأستانة وما حولها وتقسيمها فيما بينها، فوافق الطرفان عليها، ووقعت هذه المعاهدة في 4 أوت سنة 1807م[387].

وفي الوقت الذي كان فيه نابليون حريصا على اقتسام الدولة العثمانية لاعتقاده بان في ذلك فرصة لضرب بريطانيا في الهند حاولت روسيا سنة 1807م إقناعه باقتسام الدولة العثمانية على أن تعطي النمسا قسما من تلك الغنيمة إلا أن الغموض الذي كان يكتنف سياسة روسيا والخوف الذي سيطر على نابليون حال دون ذلك التقسيم[388].

في 1811م سعت روسيا إلى عقد الصلح مع الدولة العثمانية للتفرغ لنابليون وجيوشه المتعاظمة ،فتوصل الطرفان إلى عقد معاهدة للصلح عرفت باسم معاهدة بوخارست في 28 ماي 1812م، من أهم شروطها بقاء ولايتي الأفلاق والبغدان تحت سيطرة الدولة العثمانية ورجوع بلاد الصرب إلى نفوذها[389].

لقد اعتبرت فرنسا هذه المعاهدة خيانة من الدولة للروابط القديمة الموجودة بين الدولتين إذ بإبرامها تمكنت روسيا من استعمال الجيوش التي كانت مشتغلة بمحاربة العثمانيين في صد غارات فرنسا من بلادها وعادت الجيوش الفرنسية إلى بلادها مكسورة[390].

كانت أوربا حريصة على تمزيق الدولة العثمانية، فاتخذت لذلك الهدف وسائل متعددة، منها: إثارة الفتنة الطائفية والدينية وتفجير الثورات الداخلية بدعمها المادي

(387) وديع ابو زيدون، نفس المرجع، ص 221 ،222.

(388) عايض بن حزام الروقي، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية 1247 - 1255هـ /1831- 1839م،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ،مكة المكرمة ،1414هـ ،ص 51.

(389) وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 226.

(390) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 401.

والمعنوي في اليونان. بدأ هذا التمرد عام 1821م، فقامت فرنسا وا ٍنجلترا بعقد مؤتمر قرروا فيه فصل بلاد اليونان عن الدولة العثمانية(391).

تعتبر العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا على الظاهر حسنة تتخللها بعض العوائق الخفيفة والمؤقتة، وبالنظر إلى الدول الأوروبية الأخرى (انجلترا، النمسا وروسيا) تعتبر فرنسا الأقرب للدولة العثمانية رغم وجود بعض العوائق.

2. مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر:

نوايا فرنسا لاحتلال الجزائر قديمة جدا، إذ يقول المؤرخ الألماني سيمونوف في سنة 1937م "كانت فرنسا تحاول منذ القرن 14م غزو الجزائر، حيث أقامت متاجر ومراكز لصيد المرجان منذ القرن 15م وفي الحقيقة لم تنتظر فرنسا حتى القرن 14م لتفكر في غزو الجزائر بل كان في الثلث الأخير من القرن 13م في عهد الملك لويس التاسع" أي في 1270م(392). وهو تحويل نيابة الجزائر إلى مملكة فرنسية يحكمها أخوه الدوق أنجو (هنري الثالث ملك فرنسا فيما بعد)كوسيلة لإيجاد تاج ملكي لأخيه وا ٍبعاده عن وراثة عرش فرنسا(393)، ونجد أيضا مشروع شارل الثامن (1483م-1498م) ومشروع لويس الثاني عشر (1498م-1515م) الذي أراد شن حملة صليبية على الدولة العثمانية والجزائر وبلدان المغرب ككل(394).

إضافة إلى شارل التاسع،اذ يقول غارو وبعد المعركة البحرية التي هزم فيها الأسطول العثماني في09 أكتوبر 1571م وألحقت أضرار كبيرة بالأسطول الجزائري، رأى ملك فرنسا شارل التاسع أن الفرقة موالية في شهر ماي 1572م في أن يتوج أخاه دوق

---

(391) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية ،المرجع السابق، ص 632، 637

(392) مولود قاسم نايت قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، دار الأمة، ط2، الجزائر، 2007م، ج2، ص 21

(393) أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، (د ط)، لبنان،1995 م، ص 21.

(394) مولود قاسم، المرجع السابق، ج2، ص 24.

أنجو ملكا على الجزائر لكن انشغاله بالحروب الدينية منعه من ذلك ، أيضا مشروع هنري الرابع في 1604م، وفي عهد لويس الخامس عشر تم دراسة كيفية تنفيذ خطة وضعها لوفور في 1763م لغزو الجزائر [395].

مشروع كارسي الأول في 1782م[396]، حرر كارسي مذكرة حول الجزائر يوم 07 ماي 1782م بقصر فرنسا بدافع شخصي محض، إذ لا نجد أية إشارة توحي بأنه تلقى أمرا من الملك لويس السادس عشر أو من أية سلطة عليا أخرى مثل الوزارة الخارجية،للشروع في هذا العمل[397] والثاني في 1792م[398]، وهو مشروع عسكري قام بكتابته كارسي سنة 1800م تضمن محورين، الأول لمحة حول الوضع السياسي والاقتصادي والقضائي والتجاري والعسكري والاحصائي للإيالة، و المحور الثاني فقد خصصه للمخطط العسكري والطريقة والكيفية التي يتم بواسطتها الهجوم على مدينة الجزائر والاستيلاء عليها[399].

ونضيف إلى هذا أيضا مخطط لوماي 1800م[400]، حيث يعتبر لوماي رجل حرب بالدرجة الأولى ولذلك فقد استغل وجوده بالإيالة الجزائرية عندما كان أسيرا فسجل كل ما لاحظه في مدينة الجزائر وضواحيها، ودرس الأرضية تمهيدا للحملة العسكرية التي ألح

---

(395) مولود قاسم، نفس المرجع،ج2، ص 26.

(396) عبد الله شريط ومحمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، ط1، قسنطينة، 1965م، ص 159.

(397) بنور فريد، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830م، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، (د ط)، (دم ن)، 2008، ص 349، 350

(398) عبد الله شريط ومحمد الميلي، المرجع السابق، ص 159.

(399) بنور فريد ، المرجع السابق، ص 138 ،139.

(400) سعيد بوخاوش، الاستعمار الفرنسي وسياسته الفرنسية في الجزائر، دار تفتيلت للنشر،(د ط)، الجزائر، 2013، ص 20.

على إرسالها، ثم رسم مخططا عسكريا بين فيه كيفية الهجوم على مدينة الجزائر والاستيلاء عليها(401).

ومشروع ديبوا تانفيل الأول كان في 1801م، أما الثاني في 1809م(402)، وتحرشات نابليون بونبرت لغزو الجزائر(403)، بدأت تظهر فعليا عند مشروع جون بون سانت أندري 1802م ومشروع تيدينا 1802م ومشروع بيارهولان في 1802م(404).

الذي أرسل ضمن البعثة الفرنسية المتجهة لمدينة الجزائر للتفاوض مع الداي حول موضوع تجاوزات البحارة الجزائريين ضد السفن الأوروبية، وأثناء تواجده هناك راح يتجسس على أسرار الحكومة التركية ويجمع المعلومات عنها ،وبعد عودته إلى باريس أعد مشروعا لاحتلال الجزائر بعنوان "ملاحظات حول جمهورية الجزائر"(405). يتضمن معلومات تاريخية(406).

مشروع بيرج سنة 1802م، تم البحث مطولا عن مشروع القبطان بيرج ولم يعثر عليه، واتضح في نهاية الأمر بأنه كان من بين الأعضاء الخمسة في اللجنة العسكرية التي كونتها الوزارة الحربية يوم 31 جويلية 1828م والتي كلفت بدراسة مشروع غزو الجزائر(407).

---

(401) سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، العدوان الفرنسي على الجزائر = الخلفيات والأبعاد، دار هومة،(د ط)، الجزائر، (د س)، ص 77 ،78.

(402) سعيد بوخاوش، المرجع السابق، ص 20.

(403)جمال قنان، العلاقات الجزائرية الفرنسية، منشورات وزارة المجاهدين، (د ط)، (د م ن)، 2009، مجلد 2، ص 176.

(404) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار هومة، (د ط)، الجزائر، 2013، ج3، ص 227.

(405) سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المرجع السابق، ص 74.

(406) حنفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815م-1830م، دار الهدى، ط1، الجزائر، 1428هـ - 2007م، ص 73.

(407) بنور فريد، المرجع السابق، ص 349 ،350.

وتوالت بعد ذلك مخططات تحث على الحملة ضد الجزائر أهمها[408]. مخطط بوتان 1808م،فبوتان هو قائد كتيبة الهندسة العسكرية، قام بمهمة تجسس في الجزائر، حيث جمع مذكرات ووضع رسوما وصمم خطة للإنزال الحملة[409].

ثم تأتي مخططات شارل العاشر نذكر منها:

- مشروع ليني دوفيليفيك في 10 جويلية 1827م ومشروع بيار دوفال 1819-1827م إضافة إلى مشروع كولي في 10 أوت 1827م ومشروع شابرول في 22 أوت 1827م[410].
- مشروع كليرمون تونير وزير الحربية في 14 أكتوبر 1827م،اعد تقريرا حول الجزائر وسلمه إلى الملك شارل العاشر الذي قرأ على النواب في المجلس الاستشاري في 60 صفحة ولقد نشره أحد المؤلفين الفرنسيين بكامله في المجلة الإفريقية[411].
- مشروع اللجنة العسكرية في 10 أكتوبر 1828م، قام وزير الحربية الفرنسي ديكو بتشكيل لجنة من العسكريين الفرنسيين من أجل التحضير للقيام بحملة عسكرية ضد الجزائر، وتضمنت تقرير اللجنة عدة محاور أساسية منها أهداف الحملة، تشكيلات الجيش البري والبحري الفرنسي المزمع إرساله إلى الجزائر، وتحديد نقطة التقاء تشكيلات الحملة والزمن المناسب لنجاح الحملة، إلا أن انشغال الحكومة الفرنسية التي كان يرأسها مارتيناك بالحرب في المورة اليونانية أجل تنفيذ هذا المشروع[412].
- لقد قام الفرنسيون بعد أربعة عشر شهرا من فرض الحصار على السواحل الجزائرية بتقدير للموقف من جديد، فقررت تكليف قائد الحصار الفرنسية لابروتونيير بمهمتين

---

(408) سعيد بوخاوش، المرجع السابق، ص 20.

(409) عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، تر: لحسن زغدار، منشورات وزارة المجاهدين، (د ط)، الجزائر ، 2007، ص 81.

(410) سعيد بوخاوش، المرجع السابق، ص 20.

(411) بنور فريد، المرجع السابق، ص 560.

(412) سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المرجع السابق، ص 77 ، 78.

لدى الداي[413] في شهر سبتمبر 1828م و هما: أن يطلب من الداي إيفاد مبعوث إلى فرنسا تكون مهمته التعبير لحكومة هذه البلاد بصفة قاطعة عن رغبة الجزائر في إقرار السلم من جديد مع فرنسا والثانية تتلخص في إلزام الداي إطلاق صراح كل الفرنسيين، ويرى صاحب المشروع بأن التحضير للحملة يجب أن يبدأ في شهر ديسمبر 1828م لكي تكون فرنسا في أتم الاستعداد في شهر ماي من السنة المقبلة أي 1830م[414].

- وانبعثت فكرة صاغها القنصل الفرنسي في القاهرة الذي كان صديق لمحمد علي، وهي أن يفصله عن المشرق و يوجهه إلى المغرب فاقترح على حكومته مخاطبة محمد علي بأن يحتل بلاد المغرب العربي من طرابلس حتى المغرب الأقصى[415]. إلا أن محمد علي رفض التحرك المشترك مع دولة مسيحية تريد الفكاك من أزمتها الداخلية،ضد دولة مسلمة ، فقررت فرنسا خوض حملتها لوحدها ضد الجزائر في 21 جانفي 1830م[416].

---

(413)الداي المساعد و الوالي،وهو لقب الحكام في الجزائر، تونس و طرابلس أنظر: ألكسندروفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية = في ثلاثينيات وأربعينيات القرن 19، ص 174.

(414)بنور فريد، المرجع السابق، ص 573،574 ، 575، 576.

(415)عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي=عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس و الجزائر، دار المغرب الإسلامي، ط1، لبنان،1426 هـ/2005م ج3،ص 57.

(416)جورج دوين، محمد علي و الحملة الفرنسية على الجزائر 1829-1830م، تر:صادق سلام ، عالم الأفكار ،(د ط)،الجزائر ،2012م ،ص9.

3. أسباب الاحتلال وسير الحملة:

أ. تبعية ا لجزائر للدولة العثمانية:

ترجع العلاقات الأولى للجزائر بالدولة العثمانية إلى نهاية العقد الثاني من القرن 16م، 1520م /10ه وذلك عندما طلب أهل الجزائر من الأخوين خير الدين وعروج في عهد السلطان سليم الثالث استغاثة من الهجمات التي كانت تتلقاها الجزائر من الدول الأوروبية خاصة إسبانيا[417].

وضلت الجزائر حتى 1830 من الناحية القانونية إقليما تابعا للدولة العثمانية[418]. ولقد كانت علاقة الجزائر مع الدولة العثمانية علاقة تبادل منافع وتضامن في مواجهة العدو المشترك[419].

وبهذا اعتبرت القسطنطينية ممتلكاتها في شمال إفريقيا قسما لا يمكن فصله عن الإمبراطورية، وعينت حكاما متعاقدين باشاو ات (1559-1659) وأغوات (1659): دايات (1671-1830)[420].وبظهور نظام الدايات توجهت الجزائر نحو الانفصال عن الدولة العثمانية، فلجأت هذه الأخيرة إلى تعيين بايلرباي مسؤولا عن الجزائر وعلى كل الأقاليم التي انطوت تحت سلطاتها في بلاد المغرب هذه الأهمية التي أولتها الدولة العثمانية للجزائر وبلاد المغرب نابعة من كون المنطقة تشكل جبهة متقدمة في الصراع بين العثمانيين والأسبان خاصة في عهد شارل الخامس[421].

---

(417) عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830- 1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، الجزائر، 1995، ص 13.

(418) شارل اندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر= الغزو وبداية الاستعمار 1827-1871م، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2008، المجلد الأول، ص 5.

(419) رابح لونيسي، تاريخ الجزائر المعاصر 1830- 1989م، دار المعرفة،(د ط)، الجزائر، 2008، ج1، ص 12.

(420) محمود باشا محمد، الاستيلاء على أيالة الجزائر أو ذريعة المروحة، تر: عزيز نعمان، الأمل للطباعة، ط2، الجزائر، 2008، ص 12.

(421) رابح لونيسي المرجع السابق ، 12.

لهذا أخذت الدولة العثمانية بعين الاعتبار الوضع الخاص لهذه الأوجاق فمنحتها قسطا من الامتيازات بما فيها الإدارة الذاتية[(422)].

فلم تكن الدولة العثمانية تمارس سياسة إدارية مركزية صارمة في أوجاق الجزائر بل تتبع بذلك إدارة مرنة أشبه ما يكون بالاستقلال الذاتي[(423)] ،إذ صرحت لهم عقد معاهدات السلام مع الدول الأوربية إلا أن المعاهدات التي أبرمتها هذه الأوجاق لم تكن تتضمن البنود والشروط السياسية المرعية من قبل الدول، بل كانت نوع من الهدنة[(424)]، كما أن دايات الجزائر كانوا يرفضون أحيانا الولاة المعينين من قبل الدولة العثمانية، هذا ما وضع الدولة العثمانية في مواقف محرجة وأثر سلبا على السياسة الخارجية للباب العالي ،الأمر الذي أصبح وبالا على الدولة فيما بعد[(425)].

في الواقع كانت الجزائر مستوطنة تسيرها أقلية من الأتراك بمساعدة الوجهاء من الأهالي وما كان موقف فرنسا الذي اتخذته باحتلال الجزائر، إلا لتبرير تدخلها في دولة كانت تراها مستقلة فلم تكن سيادة الباب العالي الإقطاعية المقبولة قانونا إلا خرافة، إذ كانت الإيالة منذ إحلال نظام الدايات جمهورية عسكرية تمارس فيها سلطة القائد المطلقة في ظل التبعية القوية للمليشيات الانكشارية للأتراك[(426)].

ب. حصن الباستيون Bastion de France:

في عهد الوالي العلج علي (1568- 1571م)، تحصل تاجران من مرسيليا على إذن وامتياز بإنشاء مركز لصيد المرجان في الجزائر ما بين القالة وبجاية مقابل ضريبة سنوية ،وعرض المشروع على شارل التاسع ملك فرنسا (1560- 1574م)، والسلطان

(422) فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني = رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2003، ص 188.

(423) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، المرجع السابق، ص 544.

(424) فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب، المرجع السابق، ص 188.

(425) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، المرجع السابق، ص 544.

(426) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 5، 6.

العثماني سليم الثاني (1566- 1574م) فوافقا عليه، واختيرت المنطقة الساحلية ما بين القالة وعنابة لإقامة الحصن والمركز الذي أصبح يسمى فيما بعد بـ Bastion de France وقد اشترط في هذا الاتفاق عدم تحصين هذا المركز وتسليحه(427).

كانت هذه المؤسسة تقوم بصيد المرجان والاتجار في محاصيل بلاد المغرب، لكن تطور فيما بعد عملها حتى أصبحت قاعدة ومصدر تؤثر في العلاقات الجزائرية الفرنسية، فتمت مهاجمته من قبل السكان في 1568م(428).

مع مطلع القرن 17م توترت العلاقات الجزائرية الفرنسية،وكان سببها تخطي هذه المؤسسات التجارية الفرنسية القوانين المتفق عليها، أهمها إقامة التحصينات ووضع المدافع والأسلحة بها(429).

وعلى الرغم من إلحاق هذه المؤسسة باسم ملك فرنسا ،الا انها بقيت عرضة للهجمات الجزائرية في سنة 1637م.

وبعد تجديد معاهدة استغلال الباستيون في 1640م منحت تسهيلات واسعة للفرنسيين، مثل: احتكار التجار بعض السلع كالشموع والجلود، كما منح مدير الباستيون حرية واسعة في اختيار مستخدميه للقيام بصيد المرجان والأعمال التجار ية الأخرى(430)، وتم تجديد معاهدة استغلال الباستيون في 1661م، أقر هذا الاتفاق بالسماح للفرنسيين بإقامة مبان وأبراج تمكن الباستيون من الدفاع عن نفسه في مواجهة الأخطار والغارات الاسبانية ،ورخص كذلك بناء مساكن ومخازن في المنطقة التي تقع بين القل ورأس الحمراء على الحدود الجزائرية التونسية، وكذلك منح الفرنسيون حق احتكار صيد المرجان في هذه المنطقة وا ٍعفاء العمال من دفع الرسوم على البضائع(431).

---

(427) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، المرجع السابق، ج3،ص 222.

(428) نفس المرجع، ص 222.

(429) نفس المرجع، ص 224.

(430) جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق ص 83.

(431) جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص 86، 87.

- شكلت قضية استغلال الباستيون في الجزائر توترا في العلاقات الجزائرية الفرنسية، فبقي الحصن يواجه هجمات من قبل السكان نتيجة للامتيازات الممنوحة للتجار الفرنسيين في استغلال المنتجات وخيرات البلاد، كذلك نتيجة إقامة التحصينات وجلب الأسلحة والمدافع لهذه الشركة وهي ما خرق قوانين الاستغلال المتفق عليها فكان السكان يثورون على الباستيون يحرقونه أو يهدمونه ثم تستعيده السلطات الفرنسية بعد مفاوضات مع الدولة العثمانية وداي الجزائر، فكانت هناك معاهدات لاستغلال الباستيون في 1679 و1684م.

ج. قضية القرصنة:

ظهرت في دول المغرب العربي كيانات نظمت نفسها لمواجهة الأخطار الأوربية، ففي الجزائر ظهرت عصبة من رجال البحر حرصوا على اختيار الحاكم أو الداي من بينهم، وسميت نشاطات هؤلاء الرجال سواء من الجزائر أو من دول المغرب العربي من القوة البحرية في البحر المتوسط بالقرصنة(432). وظلت فرنسا بصفة خاصة تتعلق بصداقة مع الدولة العثمانية، لتحمي وجودها في البحر المتوسط وخاصة من القرصنة الجزائرية التي اشتدت وطأتها في عهد الدايات ونتيجة لتحرر نفوذ وسلطة الداي عن الدولة العثمانية لم تستطع هذه الأخيرة أن تحمي أصدقائها من الأوربيين من مشكلة الأسرى واللذين كانوا يباعون في سوق النخاسة وما يستفيد منه القراصنة المغاربة من مردودية ما تحمله السفن الأوربية من سلع وأسرى(433).

ونظرا لكون أعظم قو اد الأسطول العثماني خير الدين بربروس، وكذلك درغوث والعلج علي من أكبر القراصنة في البحر المتوسط والأقطار العربية(434) فقد اعتبرت

---

(432) أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 289.

(433) عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص 51.

(434) المنور مروش، القرصنة الأساطير والواقع = دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، دار القصبة للنشر،(دط) الجزائر، 2009م، ج2، ص 162.

المواجهات الكبرى بين العثمانيين والإسبان من أعمال القرصنة[435] لكن هذا النشاط نسميه نحن بالجهاد البحري، قال المؤرخ الفرنسي كاط: "وكان الهولنديون والانجليز وأناس من جميع الدول، أكثر شراهة في قرصنتهم من الجزائريين"[436]، أي أن القرصنة لم تكن مقصورة على شمال إفريقيا، ولا على المسلمين فقط، فقد كانت سلاحا أشهره الأوربيون في وجه بعضهم[437].

ويقول كذلك شارل أندري جوليان "إذ كانت حياة الأسرى من الأوربيين المستعملين في تجديف السفن تثير أكبر شفقة ،فقد كانوا أسعد حظا بكثير من الأسرى البربر (من بلدان المغرب العربي) الذين يسمون بالحديد المحمي ويمنعون من ممارسة شعائرهم الدينية"[438]. وعلى إثر عقد مؤتمر فيينا في 1815م ومؤتمر اكس لا شبيل في 1818م اتفقت 20 دولة أوربية على توحيد صفوفها، وشكلوا لهذا الغرض تحالفا دفاعيا للقضاء على عملية القرصنة الجزائرية خاصة في البحر المتوسط وتحرير الأسرى الأوربيين وتحريم استرقاق المسيحيين والحفاظ على حرية التجارة[439] ،وقد شرح الفرنسي اللورد اكسموث لداي الجزائر بأن مؤتمر فيينا قد قرر إلغاء الرق والقرصنة ،وطلب بأن يقبل الداي بهذا القرار وأن يحرر أرقاءهم من المسيحيين، فاستغرب الداي هذا القرار وواجهه بغضب متسائلا كيف يمكن للدول الأوروبية أن تعطي لنفسها حق التدخل في نظام قائم

---

(435) المنور مروش، نفس المرجع، ص 163.

(436) مولود قاسم نايت قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م، شركة دار الأمة، ط2، الجزائر، 2008، ج1، ص 75.

(437) أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 289.

(438) مولود قاسم، المرجع السابق ،ج1 ، ص 75.

(439) عمار عمورة، موجز تاريخ الجزائر، دار ريحانة، ط1، الجزائر، 2008م، ص 111.

منذ أمد طويل(440). لكن فرنسا استغلت فرصة القرارات الناتجة عن المؤتمر لتمنح لنفسها بصورة غير مباشرة الضوء الأخضر لغزو الجزائر(441).

د. قضية الديون:

كانت العلاقات الجزائرية الفرنسية في أفضل حال أثناء الثورة الفرنسية فقد اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية(442) في وقت كانت فيه تحت حصار أوروبي محكم سياسي وعسكري، عانت من جرائه أزمة اقتصادية حادة(443)، فبينما كانت أوربا تتحالف ضد فرنسا اعترفت قوة افريقية أكثر صدقا ووفاء بالجمهورية الفرنسية وهي الجزائر(444). فقد اعتمدت فرنسا وبخاصة في سنوات ثورتها على القمح والزيت الجزائري، وقد مونت فرنسا وبخاصة بكميات كبيرة من القمح واللحوم والزيوت في الوقت الذي كانت فيه الأسواق الأوربية مغلقة في وجهها(445).

فمن أهم الأسباب الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر في 1830م هو قضية الديون(446) التي تعود إلى عهد حكومة الإدارة الفرنسية في 1796م عندما كان التاجران اليهوديان "بكري وبوشناق" قد مونا فرنسا بالقمح الجزائري(447)،و كانت لشركة هذين اليهوديين نشاط كبير في التجارة التي سيطرت على الجزائر وساهمت بشكل كبير في

---

(440) جون ب وولف، الجزائر وأوروبا 1500- 1830م، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، (د ط)، الجزائر، 2009م، ص 445.

(441) عمار عمورة ،المرجع السابق، ص 111.

(442) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث = بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982م، ص13.

(443) صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر: من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814هـ/ 1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، (د ط)،عنابة، (د س ن)، ص 135.

(444) محمود باشا محمد، المرجع السابق، ص 16.

(445) عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة،(د ط)، الجزائر، 2013م، ص 411.

(446) جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث،1500-1830م،دار الرائد للكتاب،(د ط)، الجزائر،1431هـ/ 2010م، ص 352.

(447) جون ب وولف، المرجع السابق، ص 448.

امتصاص خيراتها منذ سنة 1780[448]. وقد قدر الدين الذي أدانته الجزائر في 1796م إلى فرنسا بمبلغ مليون فرنك فرنسي على شرط أن تستعمله في شراء الحبوب من الجزائر[449].

لكن الحكومة الفرنسية ماطلت في دفع المبلغ المدان[450] بسبب ما كانت تعانيه الخزينة الفرنسية من ضيق مالي واشتكت من تعامل بكري وبوشناق مع إنجلترا عدوة فرنسا[451].

أما الداي حسين[452]. فعبثا كانت محاولاته ليحصل على حقه من فرنسا حتى بعد عودة الملكية الفرنسية في 1815[453] ورغم اعتراف نابليون بونابرت سنة 1801م بالدين ورخص بالدفع، غير أن النقود لم تسلم للداي[454]. وقد اعتبر الداي حسين بأن المسؤول الحقيقي عن هذه المماطلة في الدفع هو القنصل الفرنسي دوفال، ولقد جاءت حادثة المروحة في 1827م بسبب إثارة قضية الديون هذه والتي بينت نية فرنسا بعدم الدفع[455].

(448) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، دار العالم الإسلامي، ط5، بيروت، 1968م، ص 621.

(449) عمار عمورة، المرجع السابق، ص 111.

(450) محمود السيد، تاريخ المغرب العربي، (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، مؤسسة شباب الجامعة،(د ط)، الإسكندرية، 2004م، ص 168.

(451) شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة، 1977م، ص 255.

(452) تذكر بعض الوثائق أنه ولد في 1764م بمكان يدعى ندرلة، وتذكر أخرى أنه ولد سنة 1773م في أزمير، خدم في المدفعية، تعرض بعدها لعقوبة قاسية وهرب إلى الجزائر وانضم إلى أوجاقها، تولى عدة وظائف قبل أن يصبح وزيرا لعلي باشا، الذي أوصى بخلافته في 1818م، بقي في الحكم 12 سنة وفي المنفى 8 سنوات، توفي في الإسكندرية في 1838م، أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 19.

(453) شوقي عطا الله الجمل ،المغرب العربي الكبير ،المرجع السابق، ص 255.

(454) جون ب وولف، المرجع السابق، ص 448.

(455) كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص 621.

هـ. معركة نافرين:

تتدرج الأحداث التي أدت إلى معركة نافرين في 1827م ضمن حلقة الصراع بين الدولة العثمانية التي كانت تتحكم في البلقان وتسيطر على شرق المتوسط وتتعاون مع إيالات الشمال الإفريقي من جهة، وبين الدول الأوربية وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا وروسيا من جهة أخرى[456]، وقد جاءت المعركة إثر معالجة قضية استقلال اليونان التي كانت أراضيها خاضعة للدولة العثمانية[457]. جاءت هذه المعركة في مرحلة ضعف وتقهقر الدولة العثمانية في الوقت الذي كانت فيه الدول الأوروبية في حالة تطور اقتصادي واجتماعي، بالإضافة للضغط الروسي والنمساوي بالبلقان على ممتلكات الدولة العثمانية تحت ستار التضامن الأخوي المسيحي ضد العدو التركي، ومناصرة الشعوب البلقانية التي يشترك أغلبها مع روسيا في الجامعة السلافية[458].

وقد وجه السلطان العثماني محمود الثاني في 1820م طلب إلى إيالة الجزائر بإرسال وحدات بحرية لتعزيز القوات العثمانية ضد الثوار اليونانيين وحلفاءهم[459] الأوروبيين (فرنسا، روسيا، إنجلترا) والذي يعرف بالحلف الثلاثي وفق اتفاق لندن الموقع في 6 جويلية 1827[460]، وبما أن الجزائر كانت إيالة تابعة للدولة العثمانية فقد ساهمت في كل الحملات التي كانت تقوم بها القسطنطينية[461].

في أواخر سنة 1821م توجهت عدة بواخر تحمل على متنها 4000 جندي من الجزائر حسب طلب الدولة العثمانية لتعزيز الدعم الذي تحتاجه الدولة العثمانية، كما قامت في سنة 1827م وحدات أسطولها البحري بمد يد العون للدولة العثمانية ضد

---

(456) ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية =دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2009م، ص 310.

(457) عمار عمورة، المرجع السابق، ص 111.

(458) ناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق، ص 311، 312.

(459) مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المرجع السابق، ص 320.

(460) عمار عمورة، المرجع السابق، ص 111.

(461) محمود باشا محمد، المرجع السابق، ص 13.

الجبهة المسيحية وقد أسفرت المعركة عن تحطيم معظم وحدات الأسطول التركي، فلم ينجو إلا نحو 30 باخرة من بينها 10 بواخر جزائرية[462] ،وعلى إثر الهزيمة فقد العالم الإسلامي مفاتيح البحار والسيطرة على التجارة الدولية، وهذا ما كانت تهدف إليه الدول الأوروبية لفتح أسواق جديدة لتسويق منتجاتها، والبحث عن الموارد الغربية وخاصة في إنجلترا وفرنسا[463].

وضع حدا للأسطول الجزائري في معركة نافرين 20 أكتوبر 1827م فتحينت فرنسا الفرصة لدخول الجزائر بعد الحصار البحري الذي فرضته عليها في 14 جوان 1827[464].

و. حادثة المروحة:

في 30 أفريل 1827م توجه القنصل دوفال تماشيا مع التقاليد المقامة لتهنئة الداي حسين داي الجزائر في قصر القصبة، بمناسبة عيد الفطر[465] وقد كان القنصل يجيد تحدث التركية فجرى بينهما حديث ساقهما إلى سؤال الداي عن الدين الذي يجب أن تدفعه فرنسا للجزائر، قائلا: "لماذا لم أتلقى جوابا عن رسالتي المتعلقة بتصفية حساب الدين"[466].

وحسب رواية الداي حسين بنفسه التي قدمها للصدر الأعظم يوم 19 ديسمبر 1827م قال فيها: "رغم أني راسلت ملك فرنسا ثلاث مرات طالبا منه إرسال المبالغ المدانة إلى الخزينة العامة للمسلمين، الا ان هذه البرقيات لم تجد أي رد" وقد طلب الداي

(462) مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المرجع السابق، ص 320.

(463) عمار عمورة، المرجع السابق، ص 111.

(464) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 322.

(465) إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830- 1962م، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د ط)، الجزائر، (د س ن)، ج1، ص 20.

(466) رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، (د ط)، الجزائر، 2000م، ص 593.

بكل احترام من القنصل تسديد الدين، فرد عليه بعبارات مهينة ومذلة للداي والإسلام[467]، فكان جواب القنصل "هل تظن أن جلالة ملك فرنسا يتنازل لجواب داي الجزائر" فوقف الداي غاضبا ليرد عن الإهانة الموجهة فأشار بمروحة من الريش كان يحملها بيده إلى الباب، فادعى القنصل الفرنسي أن ريش المروحة قد لامس وجهه وخرج غاضبا ومحتجا[468] وهي نفس الشهادة التي أدلى بها حمدان بن عثمان خوجة الذي كان شاهد عيان[469].

سير الحملة:

وصل خبر حادثة المروحة لفرنسا، فتحركت الحكومة الفرنسية لتجعل الحادثة ورقة رابحة في يدها[470] لفرض حصار بحري على إيالة الجزائر بحجة الانتقام، بعدما اعتبر ما حدث في قصر الداي إهانة للشعب الفرنسي وملكه شارل العشر[471] فبدأت فرنسا في محاولاتها للدخول للجزائر[472].

قدم وزير الحربية الفرنسية كلارمون تقريرا إلى الملك الفرنسي يحرضه فيه على احتلال الجزائر انتقاما لشرف فرنسا من موقف الداي نحو القنصل و جلب الاحترام للمسيحية بتحطيم ألذ أعدائها وهم المسلمون[473]. وتم إرسال الضابط الفرنسي "كولي" إلى الجزائر على رأس أسطول بحري حاملا معه إنذارا إلى الداي حسين يطلب منه أن يرسل وفدا حكوميا رسميا للقنصل الفرنسي دوفال لطلب الاعتذار، ثم ير فع العلم الفرنسي على

(467) عمار حمداني، المرجع السابق، ص 71.

(468) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، عالم المعرفة، (د ط)،ا لجزائر، 2010م، ص 73

(469) عمار حمداني، المرجع السابق، ص 71.

(470) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830م، دار هومة، (د ط) ،الجزائر، 2014، ص 243.

(471) محمد بوشنافي، الداي حسين وسقوط ا يالة الجزائر 1818- 1830م، مجلة العصور، عدد 6- 7، مخبر البحث التاريخي، مصادر وتراجم، جامعة وهران، الجزائر، 1999م، ص 106.

(472) رابح بونار، المرجع السابق، ص 593.

(473) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، (د ط)، الجزائر، 2010م، ج3، ص 384.

القلاع ويطلق بعدها مائة طلقة مدفعية تحية للعلم الفرنسي[474] وا إذا لم يجب هذا الطلب في غضون 24 ساعة فإن الحرب تبدأ ضد الجزائر[475]، لكن الداي لم يقبل الاعتذار فأعلنت فرنسا حصارا على مدينة الجزائر إلى أن حصل الملك الفرنسي على رغبته في معاقبة الجزائر وحماية المصالح التجارية الفرنسية[476].

وقد ضرب حصار بحري على الجزائر لمدة 3 سنوات[477] بداية من 14 جوان 1827[478] فبدأ الداي حسين يستعد للمواجهة المصيرية خاصة بعدما فشلت كل محاولات المصالحة بسبب الشروط الفرنسية المهينة لشخص الداي وشعبه[479].

وبعد انتهاء الحصار البحري، تقرر النزول في منطقة سيدي فرج كونها منطقة غير محصنة، وبعد علم الداي بالنوايا العدوانية التي يضمرها لهم الفرنسيون،كتب إلى القبائل والعرب يأمرهم أن يستعدوا ويكونوا رهن الإشارة، فأجابوه بأنهم مستعدون بل ينتظرون سوى أوامر الباشا، كما أمر باي قسنطينة بتحصين ميناء عنابه[480].

لكن صهر الداي حسين "إبراهيم آغا" لم يتخذ أقل الاحتياطات وأهمل الحصون خاصة تحصينات ميناء سيدي فرج، فكان هذا سببا في تسهيل عملية دخول الفرنسيين إلى الجزائر[481].

بعد دخول الفرنسيين إلى المدينة لم يجدوا أي مقاومة تذكر، ثم تقدم الأسطول الفرنسي نحو منطقة سطاوالي، فحاول الجيش النظامي التركي للداي أن يقاوم ،لكن عدد

(474) عمار هلال، المرجع السابق، ص 44.

(475) رابح بونار، المرجع السابق، ص 593.

(476) صالح عباد، المرجع السابق، ص 243.

(477) م. فرنال، حملة إفريقيا سنة 1830 م مع صور لداي الجزائر = وجدوا لتنظيم الجيش ومخطط لأشغال الحصار، دار الرائد للكتاب، ط2، الجزائر، 2014م، ص 13.

(478) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، المرجع السابق، ص 545.

(479) محمد بوشنافي ، المرجع السابق، ص 106.

(480) حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تر: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، (د ط)، الجزائر، 2008م، ص 149.

(481) حلمي محروس، المرجع السابق ، ص 225.

الجيش الفرنسي كان أكثر من الأتراك فهزموا في معركة سطاوالي[482] ثم اجتمع على إثرها الداي حسين بأبناء البلاد واعيانهم ورجال التشريع وغيرهم، وقرأ عليهم الرسالة التي أرسلها القنصل ديبورمون. التي تتضمن شروط الاستسلام، وقد أعطى الداي مهلة أربعة وعشرون ساعة للتروي في تسليم القلعة طوعا، وا ٍلا تم أخذها بالقوة ومعاملة أهلها بأسوأ معاملة، وبعد الاجتماع بين المجتمعين تبين لهم أن مدينة الجزائر ستقع في يد الفرنسيين وهو أمر لا مفر منه بعد فشل محاو لات المقاومة فقبلوا اقتراح الداي وهو الاستسلام وتسليم المدينة، فدخلها الفرنسيون وغادرها الداي وفق شروط الاستسلام وانتهت الإيالة ليجد الشعب الجزائري نفسه في مواجهة الاحتلال الفرنسي وحده[483].

4. المواقف الدولية من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

أ. موقف الدولة العثمانية:

أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر دون إشعار لحكومة الباب العالي ودون اكتراث منها للاتفاق الذي بينها وبين الدولة العثمانية[484] ،في الوقت الذي كان فيه الأسطول الفرنسي يفرض حصارا بحريا على الجزائر، كان الباب العالي يحاول التوسط في الخلاف بين داي الجزائر وفرنسا[485].

كانت الدولة العثمانية تتابع باهتمام كبير النزاع الفرنسي الجزائري وتطوره خلال العقد الثالث من القرن 19م، غير أن انشغالها بثورة اليونان وبالحرب الروسية لم يسمح لها بالتدخل العسكري لحماية الجزائر، لذلك فقد سعت لحل النزاع القائم بين الطرفين بالطرق السلمية والدبلوماسية، وقد احتجت الحكومة العثمانية أيام الحصار الفرنسي

---

(482) بشير كاشد الفرجي، مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830- 1962م)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، (د ط)، الجزائر، 2008م، ص 16.

(483) بشير كاشد الفرجي ،المرجع السابق، ص 226.

(484) محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية، المرجع السابق، ص 152.

(485) وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تق وتع : عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، (د ط) ،الجزائر، 2006م، ص 220.

للجزائر[486] على المذكرة الفرنسية التي حملت في طياتها تهديد فرنسا بإعلان الحرب على الجزائر في حالة ما إذا لم يتدخل الباب العالي لتأديب الداي، لكن الحكومة الفرنسية لم تعط أي اهتمام بهذا الرد من قبل الدولة العثمانية[487].

قامت السلطات العثمانية بعديد المحاولات لاسترجاع إيالة الجزائر ،حيث قام السلطان محمود الثاني بإرسال عديد الفرمانات منها الفرمان الذي ارسله في مارس 1830م إلى الجزائر للحصول على السلم والهدنة بين الداي وفرنسا، وتم إرسال المفتي "خليل" للجزائر حاملا معه نص أوامر السلطان "إني أخبرت السفير الفرنسي في القسطنطينية بمهمتك بما أن الجزائر تحت حكمي وهناك سلم بين دولتي ودولته سيستمر للأبد". وقد أمر المبعوث بإقناع الجزائريين ليطيعوا رغبات السلطان كعلامة على ولاءهم له، لكن حين وصل إلى تونس لم يسمح له بالدخول إلى الجزائر[488].

- وفي 16 أفريل 1830م تم إرسال[489] طاهر باشا[490] كمبعوث من الباب العالي ومعه كاتبه ومترجمه إلى الجزائر مرفقا بأمر بخط السلطان وهو عبارة عن وثيقة موضحا فيها مهمته وتضمنت هذه الوثيقة:

البند الأول: عندما يصل الباشا إلى الجزائر يحاول التباحث مع قائد الحصار الفرنسي لتسوية الخلاف.

(486) مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها (1792- 1830م)، دار الخليل العلمية، (د ط)، الجزائر، 2013م، ص 147.

(487) نفس المرجع ، ص 148.

(488) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 220.

(489) أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، (د ط) ،(د م ن)، 1970م، ص 54.

(490) هو بحار جزائري الأصل عمل قائدا في معركة نافرين 1827، شارك في الحرب الروسية العثمانية (1828-1829م) عين وزيرا للبحرية من 1832 إلى 1836م، ثم عين واليا على طرابلس الغرب (ليبيا) في 1836، أنظر: مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر، ص 150.

البند الثاني: فإن رفض القائد فعليه أن يطلب من الحكومة الفرنسية تعيين موظف له صلاحية التباحث مع طاهر باشا.

البند الثالث: يبين طاهر باشا لأعيان الأوجاق بالجزائر الأخطار التي تنتج عن الحرب بين الوالي وفرنسا.

البند الرابع: إذا لم يتوصل الطرفان إلى تفاهم فعلى طاهر باشا القيام بإرسال رسالة يخبر فيها الباب العالي بالنتيجة[491].

وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تنتظر النتائج التي ستتمخض عن سفر طاهر باشا إلى الجزائر كانت الحكومة الفرنسية قد صممت على أن تنفرد بالعمل المسلح في الجزائر خاصة بعد التأكد من أن والي مصر قد أعلن رفضه لمشروع احتلال الجزائر في 06 مارس 1830[492]. تأخرت رسالة طاهر باشا إلى الباب العالي عن الوصول، وحين وصلت كان الأسطول الفرنسي يبحر اتجاه الجزائر محملا بالعساكر والذخيرة حسب ما ذكره طاهر باشا، وذكر كذلك أنه سلم رسالة للوزير الفرنسي ولكنه لم يرد عليه بعد لأن هذا الأخير قد شكك في مدى صلاحية طاهر باشا للتباحث في شأن الجزائر[493].

- **تأكيد الباب العالي حقه في الجزائر**:

في 13 ماي 1831م أعلنت الدولة العثمانية في مذكرة للكونت قييو مينوتبين تؤكد فيها حقها في الجزائر بموجب القوانين والأحكام المرعية بين الدولة العثمانية وفرنسا وأكد الباب العالي حقه في الجزائر، إذ لا إشكال في باعتبارها ملك موروث للدولة العثمانية، وقد أكد الباب العالي في المذكرة، عن منع القرصنة في الجزائر، وتقديم تسهيلات لتجار أوروبا[494].

(491) ارجمنت كوران ،المصدر السابق، ص 55.

(492) محمد زروال العلاقات الجزائرية الفرنسية، المرجع السابق، ص 160.

(493) أرحمنت كوران، المصدر السابق، ص 59.

(494) نفس المصدر، ص 69.

لكن ذلك لم يؤدي لنتيجة إضافة لانشغال الدولة العثمانية بالعصيان الذي قام به والي مصر لمدة سنتين[495].

وبعد عودة السلم بين الدولة العثمانية ووالي مصر إثر معاهدة كوتاهية في 14 ماي 1830م ومعاهدة خنكار اسكسلي بين الدولة العثمانية وروسيا، أصبح الباب العالي قادرا على الاهتمام مرة أخرى بقضية الجزائر، وفي 1843م جاءت عريضة من الجزائر إلى وزير البحرية في الدولة العثمانية من قبل حمدان بن عثمان خوجة باسم إبراهيم باي بن مصطفى باشا يشرح فيها الجزائريون ما يلقونه من ظلم من الفرنسيين ويطلبون المساعدة من السلطان[496].

وتقرر على إثرها إرسال مصطفى راشد باي كسفير فوق العادة، إلى باريس[497]. وبعد التباحث مع وزير الخارجية الفرنسي طلب نقل رسالة السلطان إلى الملك الفرنسي[498].

أكد وزير الخارجية الفرنسي أن فرنسا لن تتخلى عن الجزائر[499]، وكان كذلك للدولة العثمانية محاولات عديدة بعد فشل كل المباحثات والمساعي السلمية والسياسية، فسلكت الدولة العثمانية مسلكا آخر[500].

في 1835م قامت الدولة العثمانية بمحاولة جريئة منها لاسترجاع الجزائر فأنهت حكم الأسرة القرمانلية في طرابلس التي أصبحت ولاية عثمانية ،وذلك من أجل الاقتراب

---

(495) ارجمنت كوران ،نفس المصدر، ص 70.

(496) نفس المصدر، ص 75 ،76.

(497) نفس المصدر، ص 76.

(498) نفس المصدر، ص 76.

(499) نفس المصدر، ص 83.

(500) نفس المصدر، ص 87.

من الجزائر[501]. لكن فرنسا كان لها من التدابير إزاء اقتراب الأسطول التركي فقامت بتوجيه قواتها إلى الأطراف التونسية مكان تواجد القوات العثمانية[502].

وكمحاولة أخرى قامت الدولة العثمانية بطلب مساعدة باي تونس لباي قسنطينة لكن ذلك لم ينفذ كون باي تونس أصبح يخضع للسلطات الفرنسية بعد استيلاء فرنسا على ولاياته[503].

- بعد كل المحاولات السابقة للدولة العثمانية تأكدت من ضياع إيالة الجزائر من يدها فأقرت بذلك في جويلية 1847[504].

ب. مواقف الدول الأوروبية:

1. فرنسا:

لم يكن الرأي العام الفرنسي يهتم كثيرا بمشروع الحملة الفرنسية على الجزائر، على عكس سكان الموانئ ،على وجه الخصوص أهل مرسيليا فقد اهتموا بالحملة التي يمكن أن تؤمن الملاحة وتفضي إلى فتح أسواق جديدة لتجارتهم[505]. لكن الحكومة الفرنسية أكدت على الحملة العسكرية إثر اجتماع عقده مجلس الوزرا الفرنسي في 21 جانفي 1830م برئاسة الملك شارال العاشر، حيث تقرر إرسال الحملة وأكد ذلك في خطاب له "إني لا استطيع أن أترك الإهانة الموجهة إلى علمي طويلا دون عقاب"[506].

(501)ارجمنت كوران ، نفس المصدر، ص 88.

(502) نفس المصدر، ص92.

(503) نفس المصدر، ص 111.

(504) نفس المصدر، ص 114.

(505) محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية، المرجع السابق، ص 163.

(506) نفس المرجع، ص 165.

2. **روسيا:**

صرح قيصرها الثاني نيكولا الأول بأن روسيا يسرها أن تحتفظ فرنسا بالجزائر لكي تضمن للأبد الملاحة في البحر المتوسط[507]، فكانت تدعم الدخول الفرنسي للجزائر لأن تركيزها كان حول منطقة البلقان[508].

3. بروسيا:

دعم ملكها فردريك الثالث الاستيطان الدائم لفرنسا في هذا البلد[509]. وعرضت خدمات ضباطها على فرنسا، وكانت تهدف من وراء هذه السياسة إلى تحويل أنظار فرنسا من منطقة الراين إلى منطقة أخرى بعيدة عن أوروبا[510].

4. إسبانيا:

رغم كونها كانت تشكو من عجز مالي الا انها ساعدت فرنسا في ترخيص موانئها، لترسوا عليها العمارات البحرية الفرنسية خاصة في خليج "باناما" القريب من السواحل الفرنسية والسواحل الإفريقية[511].

5. **انجلترا:**

لقد أيدت الدول الأوروبية الحملة الفرنسية ودعمتها بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة لكن بريطانيا كانت معارضة للدخول الفرنسي في الجزائر[512] في البداية للدفاع عن مصالحها في البحر المتوسط، والحرص على عدم اختلال ميزان القوى القائم والذي كان لصالحها في ذلك الوقت،فقد كان لها مساهمة في إجهاض مشروع محمد علي باشا و الي

---

(507) محمد زريق، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة التافنة 1837م = تحليل وثيقة دبلوماسية، دار قرطبة، ط1، الجزائر، 2013م، ص 56.

(508) مسعودي أحمد، المرجع السابق، ص 177.

(509) محمد زريق ،المرجع السابق، ص 56.

(510) مسعودي أحمد، المرجع السابق، ص 179.

(511) محمد زروال، المرجع السابق، ص 126.

(512) مسعودي أحمد، المرجع السابق، ص 173.

مصر لاحتلال الجزائر، كما ضغطت من جهة أخرى على الباب العالي لكي يسرع في إرسال طاهر باشا إلى الجزائر لتسوية الخلاف بين الداي حسين وفرنسا[513].

لكنها غيرت رأيها فيما بعد واعترفت بذلك خاصة بعد عملية الاحتلال وتأكيدها من إصرار فرنسا على الاحتلال وأعلنت أنها لن تدخل في حرب مع فرنسا لتحرير الجزائر وذلك يوم 89 جانفي 1831[514].

باختصار فإن مصالح الدول الأوروبية متمثلة في إبعاد فرنسا عن أوروبا وتشجيعها على الاهتمام بمناطق أخرى خارج أوروبا[515].

ج. مواقف الدول العربية:

كان لحكومات شمال إفريقيا ما عدا طرابلس، موقفا مؤيدا لفرنسا حيث كان قنصل فرنسا في تونس يملك نفوذا كبيرا لدى باي تونس الذي كان يريد التخلص من داي الجزائر وتوسيع رقعة تونس على حساب الجزائر، وبالرغم من تعاطف الشعب التونسي مع الجزائر لكن باي تونس اتخذ موقف حياد إيجابي لصالح فرنسا.

وكان موقف سلطان المغرب شبيها لموقف باي تونس فكان يطمع للتوسيع في الغرب الجزائري فاتخذ هو الآخر موقف الحياد الإيجابي لصالح فرنسا، لكن موقف الشعب المغربي كان مغايرا كونه اعتقد أنها حملة موجهة ضد المغرب العربي كله[516].

---

(513) مسعودي أحمد، نفس المرجع، ص 172.

(514) محمد زروال، المرجع السابق، ص 134.

(515) عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط1، (د م ن)، 1997.

(516)أحمد محمود عاشور، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجز ائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الاستيطاني، 1500-1962م، المؤسسة العامة للثقافة، ط1، ليبيا، 2009 م، ص 129.

استنتاج:

بدأت علاقات الصداقة بين الدولة العثمانية وفرنسا منذ السنوات الأولى لخلافة السلطان سليمان القانوني والشيء نفسه كان بالنسبة للجزائر كونها تابعة للدولة العثمانية. واستغل الفرنسيون هذه الصداقة أحسن استغلال، فكانت لهم امتيازات عدة في الجزائر كصيد المرجان والاتجار بمنتوجات المغرب العربي، كما أنشئوا قلاعا وحصونا لحماية تجارتهم في الجزائر وترسيخ وجودهم فيها.

ورغم حسن العلاقات بين الجزائر وفرنسا عموما إلا أنه تخللها بعض التوتر، وكان لفرنسا عديد المشاريع السابقة للاحتلال في 1830م باعتبار موقعها الإستراتيجي (الجزائر) بالنسبة لفرنسا في الضفة الأخرى للبحر المتوسط على الجهة الجنوبية لفرنسا، كما اتخذت فرنسا عديد الأسباب الأخرى لتبرير احتلالها للجزائر منها الحقيقية ومنها المفتعلة.

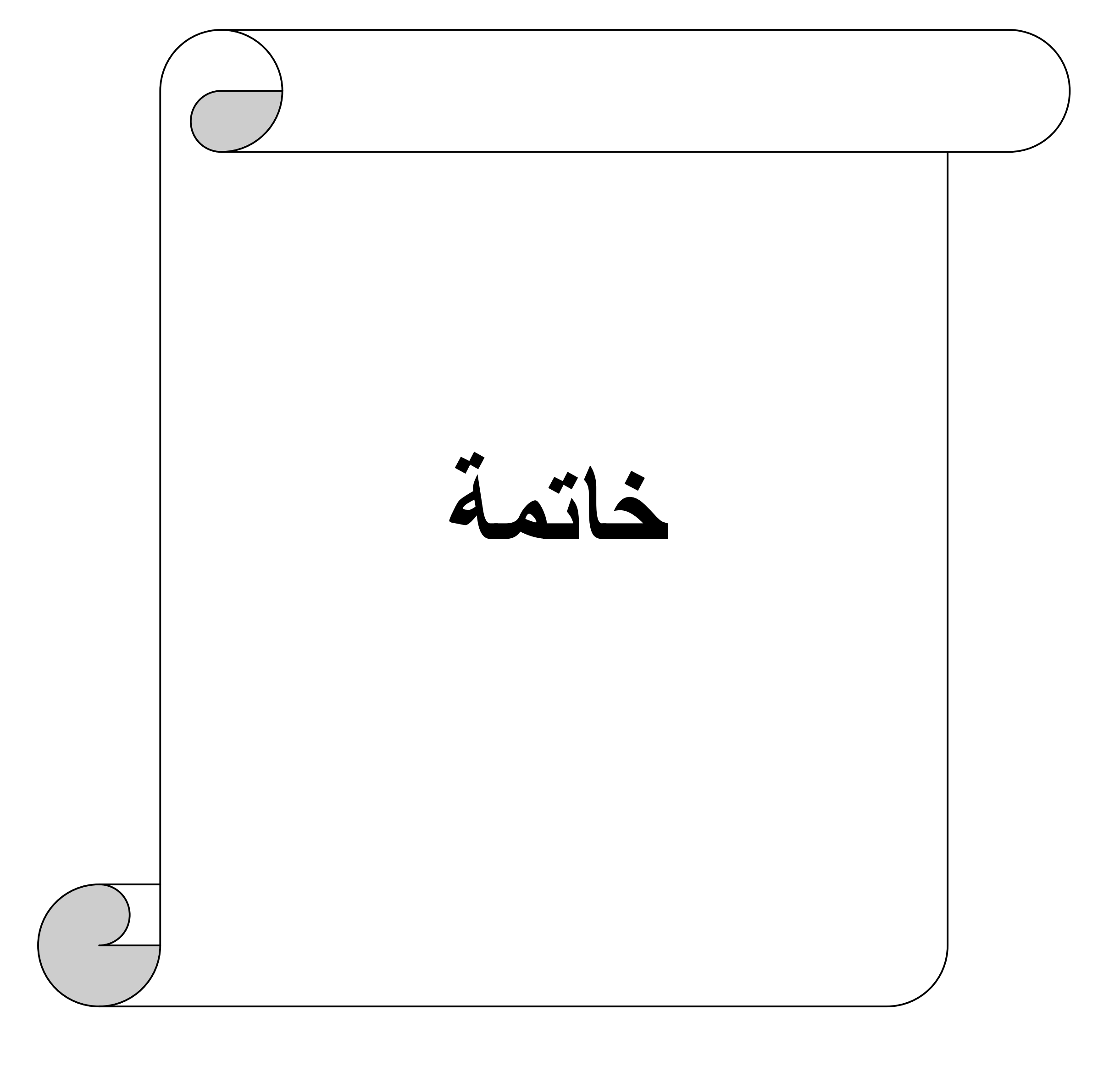
رغم أن الجزائر كانت الداعم الوحيد لفرنسا أثناء الثورة الفرنسية بعد وقوف الدول الأوروبية ضدها وفرض حصار عليها، إلا أن الموقف الصليبي الفرنسي المعادي للمسلمين الجزائريين والحقد المتوارث من الحروب الصليبية سابقا جعل فرنسا تتخذ حجة القيام بحرب صليبية جديدة ضد المسلمين لإقناع الدول الأوروبية بمساعدتها لإيقاف القرصنة في البحر المتوسط وتوجيه ضربة للدولة العثمانية لتفكيك إيالاتها.

كما كانت لفرنسا العديد من المحاولات السابقة في احتلال مصر وتحريض محمد علي باشا للقيام بالانقلاب على الخلافة العثمانية والخروج عن طاعة السلطان.

ويمثل الدخول الفرنسي للجزائر بداية علاقات جديدة بين الجزائر وفرنسا والدولة العثمانية فقد أصبحت بالنسبة للجزائر العدو الذي كان يضع قناع الصديق، أما الدولة العثمانية رغم محاولاتها العديدة في إعلان حقها في الجزائر وكل الجهود الدبلوماسية والسياسية إلا أنها كانت في حالة لم تسمح لها بالوقوف في وجه فرنسا المتآمرة مع الدول الأوروبية، فقد فشلت كل محاولاتها خصوصا بعد الضربات القاسية التي تلقتها من الدول

الأوروبية بداية من الحرب الروسية العثمانية "حرب القرم الأولى والثانية" والدخول الفرنسي على مصر وبلاد الشام، خاصة الحركات الانفصالية الداخلية والثورات والفتن.

ورغم كل ذلك بقيت علاقات الصداقة تربط فرنسا بالدولة العثمانية، ودليل ذلك التأثير الغربي الأوروبي الكبير في الدولة العثمانية ،حيث توجهت في آخر أيام خلافتها وآخر سلاطينها إلى الدولة العلمانية الحديثة "تركيا" وفصل الدين عن الدولة نتيجة التدخل الأوروبي في الشؤون الداخلية والخارجية للدولة العثمانية.



خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع العلاقات العثمانية الفرنسية يمكن أن نسجل عدة استنتاجات منها:

أن الظروف الدولية الأوروبية التي كانت قائمة في القرن 16 بين فرنسوا الأول ملك فرنسا وشارل كان الإسباني ملك الإمبراطورية الرومانية المقدسة تعد نقطة الانطلاق لبداية العلاقات العثمانية الفرنسية بسبب الصراع من أجل تاج الإمبراطورية الرومانية المقدسة، إضافة إلى أن فرنسا كانت محاطة بأملاك شارل الخامس من جميع الجهات إلا من جهة البحر وكان فرنسوا الأول يسعى إلى ضم الولايات الإيطالية لفرنسا كما كانت إسبانيا تسعى لنفس الغرض هي الأخرى، فكانت على إثرها معركة بافيا في 1525م والتي تم فيها أسر فرانسوا الأول على يد الإمبراطور شارل الخامس وتلقت فيها القوات الفرنسية شر الهزيمة.

ولأن الدولة العثمانية آنذاك كانت في ذروة مجدها وقوتها في عهد السلطان سليمان القانوني (1520 – 1566م) وشهدت توسعا كبيرا لم يسبق له مثيل وأصبحت أقاليم الدولة العثمانية منتشرة في ثلاث قارات ما جعل والدة ملك فرنسا تستنجد بالسلطان سليمان وطلبت منه مهاجمة المجر حليفة الإمبراطورية الرومانية من أجل إضعافها واسترداد ما سلب منها في معركة بافيا، كما أن السلطان سليمان أراد من جعل هذا الأمر فرصة من أجل تسديد ضربة لمملكة النمسا وتشديد الخناق على دول أوروبا، كما أن العثمانيين رأو بدورهم أن التحالف مع الفرنسيين أفضل وسيلة لكي لا تسيطر قوة واحدة على أوروبا ويكون هناك نوع من التشتيت للقوى الأوروبية.

ورأى فرنسوا الأول أن بإمكانه الاستفادة من مكانة وقوة الدولة العثمانية بكسبها صديقا وحليفا له طمعا منه بأنها ستحد من طموحات شارل الخامس لأن الدول الأوروبية الأخرى كانت منهمكة في مشاكلها الداخلية.

كما أن الظروف التي كانت تميز أوروبا آنذاك لم تكن مواتية بسبب الانقسامات السياسية والدينية فتحالفت الدولة العثمانية مع فرنسا بالذات على اعتبار أن شارل

الخامس هو العدو المشترك لهما، وكان ذلك من مظاهر التوازنات الدولية سواء في الشرق أو الغرب وتحقق على إثرها التحالف الرسمي في 1536م ومنحت بموجبها امتيازات لفرنسا ولرعاياها المتواجدين بكل الأراضي الخاضعة للسلطنة العثمانية وذلك لتنمية فرنسا عسكريا واقتصاديا والحيلولة دون أن تكون غنيمة سهلة في يد ألمانيا وإسبانيا، وتأكدت فيها حالة السلم والتوافق الذي سيدوم بين البلدين.

تعد فرنسا أول دولة أوروبية تحصل على هذا النوع من الامتيازات من الدولة العثمانية مع إعطائها الأفضلية في كافة المجالات تقريبا كما كانت لرعايا فرنسا الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية وإنشاء الكنائس كما ضمنت لهم الدولة العثمانية عدم الاعتداء على أملاك أي من الرعايا في الدولتين، واستفاد من ذلك أيضا التجار الأوروبيين تحت حماية فرنسا في الأراضي العثمانية.

تعد هذه الامتيازات أول مسمار يدق في نعش الدولة العثمانية، ويمكن اعتبار أهم السلبيات أو الانعكاسات الناتجة عن الامتيازات أن قامت فرنسا بإرسال البعثات الدينية النصرانية إلى كافة أرجاء الدولة العثمانية وخاصة بلاد الشام وبذلك ازداد العصيان والتشجيع على الثورات.

وقد تم تجديد معاهدات نظام الامتيازات رغم موت الملك الفرنسي، فحذا ابنه هنري الثالث نفس السياسة الموالية للدولة العثمانية العلية القاضية بجعل جميع الكاثوليك المستوطنين بأراضي الدولة العثمانية تحت حماية فرنسا، وباختصار فإن العلاقات كانت طيبة بين البلدين ويمكن القول أن التأثير الفرنسي في الدولة العثمانية كان واضحا انطلاقا من الامتيازات إلى الإصلاحات التي مست أنحاء الدولة والتي تسببت في ثورة الإنكشارية ضدها لأنها أعادت بناء الدولة على النمط الغربي الأوروبي الفرنسي بالتحديد، وهو تناقض بين دولة مسلمة مع دولة مسيحية ولعل هذا هو السبب في رفض الإصلاحات في الدولة العثمانية وخلع السلطان سليم الثالث عن كرسي العرش.

وتتمثل نقطة ضعف الدولة العثمانية في أنها لم تضع حدودا ومقاييس تحد من حرية الأجانب على أراضيها، فادى هذا إلى خروجهم عن طاعة أوامر الدولة مما سبب قيام حركات وثورات وتمرد، وبادرت فرنسا بالتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية وذلك أثناء احتلال مصر 1798م دون إعلان للحرب ،وتم الدخول لبلاد الشام بعدها، ويمكن القول أن فرنسا ظاهريا هي حليفة للدولة العثمانية لكنها في الحقيقة عكس ذلك تماما خاصة بعد وفاة السلطان سليمان القانوني الذي كانوا ينظرون في عهده إلى الدولة العثمانية على أنها دولة صديقة، فهناك تناقض كبير في السياسة الفرنسية اتجاه هذه الدولة، وكان لفرنسا عدة مشاريع لتقسيم ممتلكاتها بالتعاون مع الدول الأوروبية لكن الظروف في لم تسمح بذلك خاصة في السنوات التي مازالت فيها الدولة العثمانية تتمتع بالقوة .

وفي فترة ضعف وتقهقر الدولة العثمانية ازداد التنافس الدولي على أملاكها خاصة من قبل فرنسا بعد ثورتها حيث كانت تمثل نقمة على الدولة العثمانية ، فعملت فرنساعلى نشر مبادئها خارج الحدود الفرنسية، وفي ظل احتلالها لمصر أدى ذلك لقطع العلاقات نوعا ما لبعض الوقت، وهذا دليل على وجود فكرة الغزو لدى الفرنسيين منذ القديم والتي كانت قائمة لا محال منها عند باقي الدول الأوروبية الأخرى، حيث قاموا باحتلال مصر أولا وبلاد الشام ثانيا لتليها الجزائر في الأخير.

ونستنتج أيضا أنه لا وجود لصديق دائم أو عدو دائم ونذكر مثلا أثناء احتلال فرنسا لمصر ان أعلنت الدولة العثمانية الحرب بدورها على فرنسا فتحالفت مع أعدائها (بريطانيا، روسيا) من أجل طرد الفرنسيين من مصر، وبعد فترة من خروجهم من مصر تعود العلاقات بين البلدين إلى سابق عهدها من الود والصداقة، فالعلاقات العثمانية الفرنسية تسير وفقا لمصالح البلدين وبالأخص المصالح الفرنسية، والعامل الأساسي الذي يتحكم في العلاقات هي موازين القوى في الدول الكبرى في ذلك الوقت خاصة الدول الأوروبية.

سعت الدولة العثمانية لإعادة الجزائر إلى ممتلكاتها، إلا أنها كانت في حالة لم تسمح لها بالوقوف في وجه فرنسا المتآمرة مع الدول الأوروبية والتي ساهمت تدريجيا في انهيار الدولة العثمانية وتقسيم ممتلكاتها.

قائمة الملاحق

الملحق رقم (1).

رسالة السلطان سليمان

القانوني الى ملك فرنسا

كتب ملك فرنسا (فرانسوا الأول) رسالة الى السلطان سليمان القانوني، يطلب التحالف معه ضد امبراطور اسبانيا والغرب (شارلكان) وأجاب السلطان سليمان بالرسالة التالية:

الله العلي المعطي المعين

بعناية حضرة عزة الله جلت قدرته، وعلت كلمته، وبمعجزات سيد زمرة الأنبياء، وقدوة فرقة الاصفياء، محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الكثيرة البركات. وبمؤازرة قدس أرواح حماية الأربعة، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجميع أولياء الله.

أنا سلطان السلاطين، وبرهان الخواقين، متوج الملوك، ظل الله في الأرضين، سلطان البحر الأبيض والبحر الأسود والأناضول والرميلي وقرمان الروم وولاية ذمي القدرية وديار بكر وكردستان وأذربيجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس

وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضاً التي فتحها آبائي الكرام وأجدادي العظام بقوتهم القاهرة أنار الله براهينهم ، وبلاد أخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتي بسيف الظفر، أنا السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان.

الى فرنسيس ملك ولاية فرنسا.

وصل الى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذي أرسلتموه مع تابعكم (فرانقيان) النشيط، مع بعض الأخبار التي أوصيتموه بها شفاهياً، وأعلمتنا أن عدوكم استولى على بلادكم، وأنكم الآن محبوسون، وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم. وكل ما قلتموه وعرض على أعتاب سرير سدتنا الملكية، وأحاط به علمي الشريف على وجه التفصيل فصار معلوماً. فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم. وكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر، فإن آبائي الكرام واجدادي العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خالين من الحرب لأجل فتح البلاد ورد العدو، ونحن أيضاً سالكون على طريقتهم وفي كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة، وخيولنا ليلاً ونهاراً مسروجة وسيوفنا مسلولة. فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بإرادته ومشيئته. وأما باقي الأحوال والأخبار، فستفهمونها من تابعكم المذكور فليكن معلومكم هذا.[1]

تحريراً في أوائل شهر آخر الربيعين، سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة (١٥٢٥م).

بمقام دار السلطنة العلية

القسطنطينية المحروسة المحمية

(1) بسام العسلي، خير الدين بربروسا والجهاد في البحر 1470- 1547، دار النفائس، ط1، بيروت،

الملحق رقم (2).

معاهدة حربية بين السلطان سليمان القانوني وهنري دي فالو الثاني ملك فرنسة *

أبرمت هذه المعاهدة بتاريخ ٦ صفر سنة ٩٦٠ (أول شباط (فبراير) سنة ١٥٥٣)، وهذا نصها مترجمة عن مجموعة البارون دي تستا.

إن جلالة السلطان سليمان وهنري دي فالوا الثالث ملك الفرانك، قد أبرما اتحاداً مشتملاً على العبارة الآتية بخصوص الحرب البحري (جعله الله حميد العاقبة) الذي سيشرعان فيه ضدّ الامبراطور شارلكان.

البند ١ : بما أن جلالة السلطان سليمان سلطان الترك، بإرساله عمارة بحرية في بحر التوسكان[1] ضدّ الامبراطور شارل الخامس، قد أعان بذلك هنري دي فالوا مدّة سنتين، بناءً على طلبه المتكرر في بادىء الأمر، وبالخصوص بناء على ترجيحاته البالغة أقصى درجات الحض، فقد اتفق بأن الملك هنري يدفع ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب بصفة متأخر مرتب الدونانمة، وذلك حينما تصير الملاحة مأمونة لنقل النقود بالعمارة، وأن السفن الحربية التابعة للملك هنري لا تتباعد عن العمارة المذكورة، وتعتبر كأنها مرهونة نظير المبلغ المذكور، حتى يدفع لأميرال عمارة السلطان سليمان.

البند ٢ : متى توفر هذا الشرط بوجه العدالة، فإن جلالة سلطان الترك سليمان يقوم بتجهيز ستين مركباً حربياً، ذات ثلاثة صفوف و ٢٥ قرصاً بحرياً، ويرسلهاللملك هنري في مدة أربعة شهور متوالية من ابتداء أول أيار (مايو) القابل.

البند ٣ : أما في حالة ما إذا أراد هنري دي فالوا أن يستعمل العمارة المذكورة في أثناء هذه المدة للاستعانة بها على الجهات الغربية، أي الجهات الواقعة من ابتداء كروتون لغاية (جائت)[2]، فإنه يقوم بدفع مائة وخمسين ألف قطعة من الذهب إلى جلالة سلطان الترك سليمان بغاية من الضبط.

البند ٤ : كل سفينة تابعة للامبراطور أو للمتحالفين معه، سواء أكانت معدة للنقل أو كانت من المراكب الخفيفة، وسواء أكانت سفناً حربية صغيرة أو كبيرة، فبمجرد وقوعها أسيرة لدى العمارة العثمانية تصير من تلك اللحظة ملكاً للسلطان سليمان ملك الترك.

البند ٥ : المدن والقصبات والقرى والكفور التي تتغلب عليها هذه العمارة تكون مباحة غنيمة للترك، وجميع سكانها راشدين أو قاصرين، رجالاً كانوا أو نساء، ولو أنهم معتنقون الديانة المسيحية، ويكنون قد سلموا أنفسهم باختيارهم، فإنه لا بد من تركهم أسراء وعبيداً للترك، بمقتضى واجبات الاتفاق الصريحة بهذا الصدد التي قر عليها الأمر بين السلطان سليمان وبين فرانسوا أبي هنري من منذ سبع عشرة سنة، إلا أن امتلاك هذه المدن والقصبات والقرى والكفور والمؤن والذخائر، وكذلك مدافع البرونز، صغيرة كانت أم كبيرة، مع جميع متعلقاتها من حيوانات وغيرها التي توجد فيها، فإنها للملك هنري بموجب هذه المعاهدة.

البند ٦ : إذا أصدر الملك هنري أمره إلى عمارة جلالة السلطان بأن تحارب شارل ملك النمسة، غير متجهة نحو الغرب، بل نحو الشرق والجنوب، ويقصد بذلك مسيرها في الشواطىء من عند مصب نهر ترونتو[٣] لغاية كروتون، بحيث أن هذه العمارة تقوم بأعباء أوامر هنري بدون مقابل، فقد اتفق على أن المواد الحربية ومؤنات المدن والقصبات التي تقع تحت يد الترك يتنازل عنها للملك هنري، ولكن المدن والقصبات والقرى والكفور فإنها تترك غنيمة للترك، كما تقرر ذلك بالبند السابق. وأما الوطنيون والمزارعون والقاطنون البالغون والقاصرون، الرجال منهم والنساء، فإنهم يسلمون للأسر بدون معارضة، حتى ولو كانوا ممن يعتنقون الديانة المسيحية بل ولو كانوا ممن أسلم نفسه بمحض إرادته.

البند ٧: يمكن لأميرال جلالة الملك سليمان أن يستولي ويأسر، باسم مليكه الأفخم، كل مكان تقدم عليه العمارة التركية المظفرة، متى رأى ثمة من فائدة، وذلك من ابتداء حدود نهر ترونتو لغاية أوترانت وكروتون، ومن ثم لغاية صقلية ونابولي، وعموماً جميع الأقاليم المملوكة للامبراطور شارل الخامس ملك النمسة، سواء أكان ذلك

المكان داخل الأراضي، أو سواء أكان مدينة أو قصبة أو قرية أو كفراً أو ميناء أو خليجاً، وله الحق في الاستيلاء على أي سفينة يصادفها، وله أن يغزو، بل وأن ينهب ويأسر الرجال والنساء، البالغين أو القاصرين، حتى أنه يمكنه متى شاء أن يحافظ ويتملك جميع ما يغتنمه، سواء أكان من بني الإنسان أو المدن أو البيوت الخالية، وأن يعدها ويستعملها لاحتياجاته، ولو ضد رغبة الفرنك وبالرغم من مضادتهم الشديدة في ذلك.

البند ٨: إذا تحصل جلالة السلطان سليمان على تملك إحدى الأربع[٤] مدن، حصنها في إقليم (البوي) بواسطة فردينان سنسيفرن، برنس دي سالرنيتين، بمقتضى تعهد هذا الأمير، فجلالة السلطان سليمان يعيد إلى هنري مبلغ الثلاثمائة ألف قطعة من الذهب التي ضمن له كما تقدّم دفعها، وذلك في حالة ما إذا كانت دفعت إليه.

البند ٩: جلالة السلطان سليمان يسلم، عدا ذلك، الثلاثين سفينة حربية وبحارتها بدون أدنى فدية، وكذا المدافع والمؤن وجميع المواد، ويستثنى من ذلك رجال بحريته الخصوصيون وعساكره. كما وأنه يدفع في أقرب وقت لبرنس سالرن، الذي بذل نفسه وكل ما في وسعه للحصول عليها، وكان نصيبه أن حرم من منصبه وطرد من وطنه وبيته، مبلغ الثلاثين ألف قطعة من الذهب التي صرفها بكل ارتياح وكرم.

فهذه البنود، بالحالة التي هي مكتوبة بها أعلاه، قد وضحت، بحسب ما جرت به العادة، بكلام مضبوط لا يقبل التأويل، بواسطة أرامونت سفير هنري لدى جلالة السلطان سليمان، الذي أضاف إليها قسماً صريحاً بحضور برنس سالرنيتين بصفة كونه نائباً أميناً، ومن جهة أخرى فقد تصدّق عليها من رستم باشا بموجب السلطة الممنوحة له من لدن جلالة السلطان سليمان.

وقد أبرم جميع ذلك واتفق عليه بالقسطنطينية في أول شباط (فبراير) سنة ١٥٥٣.

(1) قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 188، 189، 190.

الملحق رقم (3).

بنود معاهدة 19 أكتوبر 1801م بين فرنسا والدولة العثمانية

البند الأوّل : ينعقد السلم والولاء فيما بين الجمهورية الفرنساوية والباب العالي فيزول بناء على ذلك ما كان بينهما من العدوان ابتداء من اليوم الذي تتبادل فيه التصديقات على هذه البنود الابتدائية. وبعد أن تجري مبادلة التصديق تنجلي في الحال العساكر الفرنساوية عن مملكة مصر وتردّ المملكة المذكورة الى الباب العالي المحفوظة أراضيه وممالكه له بالتمام والكمال كما كانت في الحرب الحالية ، على أنه من المقرّر أن كل ما يسمح به من الامتيازات في الممالك المصرية لسائر الممالك الأجنبية بعد انجلاء الفرنساويين عنها يكون مسموحاً بها للفرنساويين أيضاً .

البند الثاني : تعترف جمهورية فرنسا بتشكيل جمهورية السبع جزائر وبلاد البندقية السابقة وتكفل استمراره ويقبل الباب العالي كفالة فرنسا وروميا بذلك .

البند الثالث : ستتفق الجمهورية الفرنساوية والباب العالي العثماني على تعيين طريقة نهائية تختص بأموال رعاياهما وأمتعتهما التي حجزت أو أخذت مصادرة أثناء الحرب، ويطلق سراح الوكلاء السياسيين والوكلاء التجاريين والأسرى على اختلاف درجاتهم حال حصول التصديق على هذه البنود الابتدائية .

البند الرابع : ان المعاهدات الكائنة فيما بين فرنسا والباب العالي حتى قبل الحرب الحاضرة تجدّدت بتمامها ،وبناء على ذلك حق لجمهورية فرنسا أن تتمتع في كافة أنحاء الممالك العثمانية بجميع الحقوق التجارية وحقوق الملاحة التي كانت متمتعة بها قبلاً أو سيتمتع بها غيرها من الدول الأكثر تفضيلاً في مستقبل الأيام .

(1) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 378، 379.

الملحق رقم (4).

مذكرة حول مشروع فرنسا لشن حملة بقيادة محمد علي لإخضاع الإيالات البربريسكية الثلاث (الجزائر، تونس، طرابلس).

القوات البرية لجيش نائب ملك مصر تشكل قوة تقارب تلك المذكورة المسلمة من السيد دروفيتي بخصوص هذا الموضوع في شهر سبتمبر الفارط بمعنى حوالي 70.000 رجل منتشرة في مصر، شبه الجزيرة العربية، إثيوبيا، قبرص وخندق.

وقد تم زيادة عدد هذا الجيش منذ ذلك الوقت بـ 7 وحدات فرسان نظامية بـ 400 حصان لكل وحدة.

تتكون القوات البحرية من:

- حراقات بـ 60 مدفعا.........05.
- سفن حربية (corvette)........05.
- سفن شراعية ذوات صارين...........08.
- مراكب شراعية...............02.
- سفن نقل.................10.
- مجموع السفن.............30.

عهدت قيادة الحراقات، سفن حربية من نوع كورفات (corvette) والسفن الشراعية ذوات صارين للتو للضباط الفرنسيين الذين كانوا منذ 3 سنوات تحت خدمة الباشا بصفتهم مرشدين سيقوم محمد علي بفصل 20.000 رجل من جيشه من الوحدات النظامية، جنود، مشاة، فرسانا ليصعدوا رجالا وأحصنة على متن أسطوله وعلى متن سفن أوروبية مستأجرة بهذا الغرض سينقلون على التوالي إلى مختلف نقاط النزول المجاورة لساحات تونس، طرابلس، الجزائر وأين تعد علاقتنا سرية، التي سبق إنشائها من قبل نجاحا سهلا لهذه العملية الهامة

وفي نفس الوقت سيذهب 20.000 ألف عربي بدوي في أغلبيتهم على ظهر أحصنة من مصر متبعين الساحل الذي تجانبه القوات البحرية وسيؤخذون معهم بدويين من مختلف قبائل الصحراء الذين شكلت معهم تحالفات.

وحتى يقدم محمد علي تعهد يراه أكثر إبراز للاهتمام الذي يوليه للعمل سيعطي القيادة العليا لقواته البرية والبحرية لابنه إبراهيم باشا، وسينطلق الوزير في الأسطول مع فيلق القوات النظامية وسيقود العملية شخصيا وفي كل مكان، سيكون أحمد باشا على رأس العرب البدو وسيدير هذا الفيلق برا.

ولإعطاء حملة نائب الملك طابعا مسلما كلية سيطلب إبراهيم باشا من الأميرال الفرنسي بعد الاستيلاء على تونس إبعاد القوات البحرية للملك التي تعبر بالقرب من الجزائر، إن نائب الملك مقتنع كل الاقتناع أن السرية في الترتيبات في عمله وأن السرعة الكبيرة في العمليات العسكرية لهما أحسن ضمانا يضيفه إلى الأرض التي يملكها من قبل لنجاح ثوري وسهل، أخذت كل هذه الإجراءات حسب ما تقتضيه الحالة

الظهور الغير متوقع لفيلق الحملة أمام الجزائريين يمكن أبدا الداي من أن يتلقى في الوقت المناسب المعونة التي يبدوا بانه وعد بها في حالة هجوم من طرف جاره إمبراطور المغرب[1].

(1) جورج دوين، المرجع السابق، ص 168، 169، 170.

الملحق رقم (5).

معاهدة امتياز استغلال الباستيون في 7 جويلية 1670م

البند 1: إن السفن والمراكب والبولاكر تستطيع ارتياد هذه الموانئ بدون أن يتعرض لها أحد ويمنع كل تاجر مزاولة الأنشطة في المنطقة تحت أي عنوان كان.

البند 2: وفي مقابل هذا فإن السيد ديكوكيل يدفع لنا عوضا عن الارض التي أجرها وعلى التجارة التي يمارسها في كل من القل وبونة مبلغ 34.000 مليون كل سنة منها 24.000 مليون توضع بين يدي الباشا لمرتبات العساكر و10.000 توضح لخزينة القصبة.

البند 3: ويسمح له بإقامة مباني في هذين المكانين: الباستيون، متسكاريس وفي رأس الحمراء للدفاع عن نفسه ضد الهجمات الإسبانية وفرقطات سردينيا ومجورقة ومينورقة وكذلك من أجل توفير مأمن للسفن الإسلامية التي تلجأ لهذه الموانئ نتيجة لرداءة الطقس أو بسبب مطاردة الأعداء لها وكذلك من أجل الدفاع عن نفسه ضد الأهالي العصاة.

البند 4: ويستطيع أن يبني كذلك نقطة للحراسة عند مدخل المينائين.

البند 8: كما يسمح له (للسيد ديكوكيل) بالبناء أو الاستئجار في كل من البونة والقل منازل ومخازن وفرن ورحي لإيواء رجاله القائمين على أمر التجارة أو بصيد المرجان أو لأي غرض آخر من ها القبيل كما يسمح لمراكبهم باللجوء إلى الإقامة في هذين الميناءين.

البند 10: يمنع على أي احد في كل من مباني البونة والقل لان يبيع الصوف والشمع لرياس المراكب من التونسيين أو الحربيين أو لرياس آخرين الذين سيحملونها إلى طبرة أو تونس وحتى إلى مدينة الجزائر ليبيعها في ميناءها لمراكب القورنة ويمنع منعا باتا على أي شخص الاتجار في هاته المواد وا ِذ ما وجدت هاته السلع في أحد المراكب أو السفن فإنها ستصادر ونوتيتها يسترقون.

البند 11: لا يسمح لأي شخص من أهالي بونة أو القل أو لأي شخص آخر الاتجار في هذه السلع باسمه أو تحت اسم آخر.

البند 12: على عهد السيد صانصون أدخلت عادات جديدة في هاته التجارة سواء في بونة أو في القل ومن الآن فعنه يمنع أخذ أية سلعة أخرى غير السلع التي جرت العادة على أخذها عندما كان الإنجليز متجهين في هذين الميناءين ولن يدفع للكاهية رسوما غير التي كانت تدفع على عهد الإنجليز.

البند 15: كل الأشخاص الذين يعملون في الباستيون أو على متن سفن الصيد سواء أكانوا جانوبيين أو من الفلامان فإنهم يتمتعون بنفس الحقوق التي للفرنسيين فلا يسترقون، على اعتبار أنه لا يمكن الاستغناء على خدمات رعايا مختلف الجنسيات، سواء بالنسبة لصيد المرجان أو لأعمال أخرى.

البند 21: بسبب الخراب الذي لحق بالباستيون وضياع السجلات والإيصالات وكل الوثائق للمعاملات التي كانت تجري مع تجار مدينتي بونة والقل، فإن المتعهد معفى وبريء الذمة من كل تعهد وقع في الماضي مع تجار لمدينتين.

البند 23:وإذا حدث خلاف بيننا وبين الفرنسيين وأدى إلى نشوب الحرب فلن يحمل أخاص الباستيون أية مسؤولية في ذلك، وإذ ما أخلى الباستيون من طرفهم فإنهم ملزمون بدفع 34.000 مليون في كل سنة والتي تدفع للباشا ورواتب للعساكر ولخزينة القصبة لكي لا تتأخر على العساكر مما يتوجب تحصيل سعر الفائدة على هذا التأخير[1].

(1) جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الجديث، المرجع السابق، ص 109، 111، 112، 113.

الملحق رقم (6).

اتفاقية بين قائد جنرالات الجيش الفرنسي وسمو داي الجزائر :

1 — يسلم حصن القصبة وجميع الحصون الأخرى التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة إلى الجيوش الفرنسية ، هذا الصباح على الساعة العاشرة (حسب توقيت فرنسا) .

2 — يتعهد قائد جنرالات الجيش الفرنسي بأنه يترك لسمو داي الجزائر حريته وكذلك جميع ثرواته الشخصية .

3 — الداي حر في الانسحاب مع أسرته وثرواته الخاصة إلى المكان الذي يحدده ، وسيكون هو وكامل أفراد أسرته تحت حماية قائد جنرالات الجيش الفرنسي ، وذلك طيلة المدة التي يبقاها في الجزائر ، وستقوم فرقة من الحرس بالسهر على أمنه وأمن أسرته .

4 — يضمن قائد الجنرالات نفس المزايا ونفس الحماية لجميع جنود الميليشيا .

5 — تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة ، كما أنه لن يقع أي اعتداء على حرية السكان من جميع الطبقات ولا على دينهم وأملاكهم وتجارتهم وصناعتهم ، ونساؤهم سيحترمن .

إن قائد الجنرالات يتعهد بشرفه على تنفيذ كل ذلك . وأن تبادل هذه الاتفاقية سيتم قبل الساعة العاشرة من هذا الصباح ، وبعد ذلك مباشرة تدخل الجيوش الفرنسية إلى القصبة ثم إلى جميع حصون المدينة والبحرية .

في المعسكر المخيم أمام الجزائر ، يوم ٥ جوليت سنة ثلاثين وثمانمائة وألف.

إمضاء : كونت دوبرمون

خاتم حسين باشا ، داي الجزائر

---

(1) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 171، 172.

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر:

1. إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية =التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1408هـ/1988م.
2. أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، عالم المعرفة، (د ط)،ا لجزائر، 2010.
3. أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، (د ط) ،(د م ن)، 1970.
4. حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تر: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار،(د ط)، الجزائر، 2008.
5. شارل اندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر: الغزو وبداية الاستعمار 1827-1871، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2008، المجلد الأول.
6. عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار =تاريخ الجبرتي، (د. د. ن)، (د. ط)، (د. م. ن)، (د. س).
7. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، دار العالم الإسلامي، ط5، بيروت، 1968.
8. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح : إحسان حقي، دار النفائس، ط1، لبنان، 1401هـ/ 1981م.
9. نقولا الترك، الحملة الفرنسية على مصر والشام، تق: ياسين سويد، دار الفارابي، ط1، لبنان، 1990.
10. يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العلية، تر: عدنان محمود سلمان، تح : محمود الأنصاري ،مؤسسة فيصل للتمويل، ط1، تركيا، 1408هـ/ 1988م المجلد الأول.

المراجع:

1. إبراهيم حسنين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، (د ط)، الإسكندرية، 2014

2. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1930- 1900م)، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1992.
3. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث = بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، ج1، 1982.
4. أحمد حافظ عوض، نابليون بونبرت في مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د. ط)، جمهورية مصر العربية، 2012.
5. أحمد عبد الرحيم مصطفى ،أصول التاريخ العثماني ، دار الشرق ،ط1،القاهرة،1402 هـ/ 1982.
6. أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، (د ط)، لبنان،1995م.
7. أحمد فؤاد متولي ،تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ،ابتراك للنشر والتوزيع ،(د ط)،القاهرة ،2005.
8. أحمد محمود عاشور، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الاستيطاني، 1500-1962م، المؤسسة العامة للثقافة، ط1، ليبيا، 2009 م.
9. أحمد نجيب هاشم ومحمد مأمون نجا، أطلس تاريخ القرن 19م، مكتبة النهضة المصرية، ط1، مصر، 1938م.
10. إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830- 1962، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د ط) ،الجزائر،(د س ن)، ج1.
11. إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، (د م ن)، 1998.
12. إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكة، ط1، الرياض، 1418هـ/1997م.

13. إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر =قارة إفريقيا، دار المريخ للنشر، (د. ط)، الرياض، 1413هـ/1933م، ج2.

14. اشرف صالح محمد السيد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث ،دار ناشري للنشر الالكتروني، ط1، الكويت ،2009.

15. إكمال الدين إحسان أوغلي ،الدولة العثمانية تاريخ وحضارة :ترك صالح سعداوي، مركز الأبحاث والقوة الإسلامية،(د ط)،اسطنبول، 1999.

16. ألبير سوبول، تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسي، منشورات البحر المتوسط ومنشورات عويدات، ط4، باريس، 1989م.

17. ألكسندروفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية = في ثلاثينيات وأربعينيات القرن 19، تر: أنور محمد إبراهيم، المجلس الإعلامي للثقافة، (د. ط)، (د. م. ن)، 1999.

18. إلياس طنوس الحويك، تاريخ نابليون الأول، دار مكتبة الهلال، (د. ط)، بيروت ، 1981م، مجلد2.

19. أليكسندروفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية =في ثلاثينات وأربعينات القرن 19م.

20. بشير كاشد الفرجي، مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830- 1962)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، (د ط)،الجزائر، 2008.

21. بنور فريد، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830م، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، (د ط)، (دم ن)، 2008.

22. بيتر شوجر، أوروبا العثمانية 1354 هـ/1804م= في أصول الصراع في الصرب والبوسنة، تر عاصم الدسوقي، دار الثقافة الجديدة ،ط1، القاهرة ،1998.

23. تأليف لجنة في وزارة التربية، تاريخ أوروبا وأمريكا الحديث والمعاصر، (د. د. ن)، ط6، (د. م. ن)، 1435هـ/2014م.

24. تركي ظاهر، أشهر القادة السياسيين من يوليوس قيصر إلى جمال عبد الناصر، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، لبنان، 1992.

25. ثريا الفاروقي، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، تر: حاتم الصحراوي، دار المدار الإسلامية، ط1، (د م ن) 2008.

26. ج. جرانت هارولد تمبرلي، أوروبا في القرنين 19 و20م – 1789م/1950م، تر: بهاء فهمي، مر: أحمد عزت عبد الكريم، مؤسسة سجل العرب، (د. ط)، (د. م. ن)، 2001.

27. جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن 19م، مؤسسة هنداوي، (د. ط)، القاهرة، 2012م.

28. جرجي زيدان، مصر العثمانية، تح: محمد حرب، دار الهلال، (د. ط)، الإسكندرية، 2003م.

29. جفري برون، تاريخ أوربا الحديث، تر:علي مرزوقي، الأهلية للنشر و التوزيع ، (د ط) الأردن، 2006.

30. جلال يحي ، أوروبا في العصور الحديثة (الفجر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، الإسكندرية، 1981.

31. جلال يحي، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر = سيطرة أوروبا على العالم، المكتب الجامعي الحديث، (د. ط)، الإسكندرية، (د. س. ن)، ج4.

32. جمال قنان، العلاقات الجزائرية الفرنسية، منشورات وزارة المجاهدين،(د ط)، (د م ن)، 2009، مجلد 2.

33. جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، دار هومة، (د ط) ،الجزائر، 2010.

34. جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث،1500-1830،دار الرائد للكتاب، (د ط) ،الجزائر ،1431هـ/ 2010م.

35. جمال محمود حجر، من قضايا التاريخ الأوروبي في القرن 19 و20م، دار المعرفة لجامعية، (د ط)، (د م)، (د س).

36. جميل بيضون، شحادة الناظور، علي عكاشة، تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، (د. م. ن)، 1412هـ/1992م.

37. جورج دوين، محمد علي و الحملة الفرنسية على الجزائر 1829-1830، تر:صادق سلام ، عالم الأفكار ،(د ط)،الجزائر 2012م.

38. جون ب وولف، الجزائر و أوروبا 1500- 1830، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد،(د ط)، الجزائر، 2009.

39. حسن حلاق، تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، ط1، لبنان، 2000م.

40. حلمي محروس إسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، (د ط)، الإسكندرية، 1997م.

41.حنفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815م-1830م، دار الهدى، ط1، الجزائر، 1428هـ - 2007م.

42. خليل إينا لجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد م.الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2002.

43. رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، (د ط)لجز ائر، 2000.

44. رابح لونيسي، تاريخ الجزائر المعاصر 1830- 1989، دار المعرفة،(د ط)، الجزائر، 2008، ج1.

45. رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د. ط)، (د. م. ن)، 1994.

46. روبير مانتيران ، تاريخ الدولة العثمانية ، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ،القاهرة، 1993، ج1.

47. ز، تحرير مصر، تر: محمد لطفي جمعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د. ط)، القاهرة ، 2012م.

48. زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، دار الميسرة، ط1، عمان، 2010.

49. زينب عبد العزيز، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيين، (د. د. ن)، (د. ط)، (د. م. ن)، 1998م.

50. سعيد بوخاوش، الاستعمار الفرنسي وسياسته الفرنسية في الجزائر، دار تفتيلت للنشر،(د ط)، الجزائر، 2013.

51. سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، العدوان الفرنسي على الجزائر = الخلفيات والأبعاد، دار هومة،(د ط)، الجزائر، (د س).

52. سيد محمد السيد ، تاريخ الدولة العثمانية [النشأة- الازدهار] = وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 1428هـ/ 2007م.

53. سيدهم فاطمة الزهراء، العلاقات الجزائرية الفرنسية ما بين 1790-1830، دار كوكب العلوم، ط1، الجزائر، 2013.

54. شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة، 1977.

55. شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء، ط2، الرياض، 1422هـ/2002م.

56. شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د. ط)، القاهرة ، 2006.

57. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830، دار هومة، (د ط) ،الجزائر، 2014.
58. صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر: من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814هـ/ 1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، (د ط)،عنابة، (د س ن).
59. صلاح أحمد هريدي ، الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصر العثماني = دراسات وثائقية من سجلات المحكمة الشرعية (923- 1213هـ) (1517- 1798م) ،دار المعرفة الجامعية، (د ط) ،الإسكندرية، 1989.
60. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، (د ط)، الجزائر، 2010.
61. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العرب، (د ط)، القاهرة،(د س).
62. عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو مصرية، (د ط) ،القاهرة، (د س)،ج2.
63. عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث =من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، (د. م. ن)، 1997، ج1..
64. عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي=عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس و الجزائر، دار المغرب الإسلامي، ط1، لبنان،1426 هـ/2005م ج3.
65. عبد الله شريط ومحمد ألميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، ط1، قسنطينة، 1965م.
66. عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة،(د ط)، الجزائر، 2013.
67. عدنان العطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، ،دار الوحي القلم، ط1 ،(د م ن)، 2006.

68. عزت حسين أفندي الرارندلي، الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني =مخطوطة "ضيا ناما" للرارندلي، تر: مجيد عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، (د. م. ن)، 1999م.

69. عزتلو يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مدبولي، ط1،القاهرة ،1990 م.

70. عزيز سامح التر،الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود على عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1409هـ/1989م.

71. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، معالم التاريخ وحضارة الإسلام من البعثة النبوية حتى سقوط الدولة العثمانية 609م- 1924م، دار الفكر العربي، (د. ط)، القاهرة، 1419هـ/1998م.

72. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، (د م ن)، 1997.

73. عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، تر: لحسن زغدار، منشورات وزارة المجاهدين، (د ط)، الجزائر ، 2007.

74. عمار عمورة، موجز تاريخ الجزائر، دار ريحانة، ط1، الجزائر، 2008.

75. عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830- 1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

76. عمر الإسكندري وسليم الحسن، صفحات من تاريخ مصر = تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر،مر: أج سندج ، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1996م.

77. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516م- 1922م)، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، (د. م. ن)، 1996م.

78. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517- 1922، دار المعرفة الجامعية،(د ط)،(دم ن)،2009.

79. عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، الإسكندرية، 1992م.

80. عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د. ط)، بيروت، 1990م.

81. عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، (د. م. ن)، 2001.

82. عيسى الحسن، الدولة العثمانية = عوامل البناء وأسباب الانهيار، الأهلية، ط1، الأردن، 2009.

83. عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008.

84. الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288م-1916م، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، (د م ن)، 2007.

85. فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي =دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا مطلع العهد العثماني أواسط القرن 19م، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2007.

86. فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني = رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2003.

87. فيليب تايلور، قصف العقول =الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي، تر: سامي خشبة، (د. د. ن)، (د. ط)، (د. م. ن)، 1978.

88.قيس جواد العز اوي، الدولة العثمانية = قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، ط1، لبنان، 1444هـ/1994م.

89. م. فرنال، حملة إفريقيا سنة 1830 مع صور لداي الجزائر = وجدوا لتنظيم الجيش ومخطط لأشغال الحصار، دار الرائد للكتاب، ط2، الجزائر، 2014.
90. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، (د. ط)، الجزائر، 1964، ج3.
91. محمد أسد الله صفاء، أعلام الحرب =نابليون، دار النفائس، ط1، لبنان، 1409هـ/1988م.
92. محمد الطاهر سحري، مختصر تاريخ الدولة العثمانية، مطبعة المعارف، ط1، الجزائر، 2008، ج 1.
93. محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)، تص: نصر الدين سعيدوني، الأصالة، ط2، الجزائر، 1434هـ/2012م.
94. محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،(د ط) ،الجزائر، 2009.
95. محمد زريق، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة التافنة 1837 = تحليل وثيقة دبلوماسية، دار قرطبة، ط1، الجزائر، 2013.
96. محمد سهيل طقوس ،تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، ط3، بيروت، 14 1434هـ/2013م.
97. محمد صبري، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1926.
98. محمد عادل عبد العزيز، انهيار الخلافة وتوابعه على مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، القاهرة، 2007.
99. محمد عبد الستار البدري، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2001.

100. محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، (د. ط)، عمان، 1989.

101. محمد علي الصلابي،الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، شركة الأمل،ط1 ،(د م ن)1421هـ/ 2001م.

102. محمد علي داهش، الدولة العثمانية والمغرب = إشكالية الصراع والتحالف، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2011.

103. محمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، مكتبة الإسكندرية، (د ط)، (د م)، 1998م.

104. محمود السيد، تاريخ المغرب العربي، (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، مؤسسة شباب الجامعة،(د ط)،الإسكندرية، 2004.

105. محمود باشا محمد، الاستيلاء على أيالة الجزائر أو ذريعة المروحة، تر: عزيز نعمان، الأمل للطباعة، ط2، الجزائر، 2008.

106. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي = العهد العثماني، المكتب الإسلامي، ط4، (د. م. ن)، 1421هـ/2000م.

107مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجز ائر والمواقف الدولية منها (1792-1830)، دار الخليل العلمية، (د ط) ،الجزائر، 2013.

108. مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر.

109. مصطفى عبد الغني، الجبرتي والغرب =رؤية حضارية مقارنة، المكتبة الثقافية، (د. ط)، (د. م. ن)، 1995م.

110. منصور عبد الكريم، الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخلافة وسلاطين بني عثمان، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، القاهرة، 2013.

111. المنور مروش، القرصنة الأساطير والواقع = دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، دار القصبة للنشر،(دط) الجزائر، 2009، ج.

112. مولود قاسم نايت قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، قبل 1830، دار الأمة، ط2، الجزائر، 2007م، ج2.

113. مولود قاسم نايت قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، شركة دار الأمة، ط2، الجزائر، 2008، ج.

114. ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، دار حامد للنشر والتوزيع، ط1،(د م ن)، 2008.

115. نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي = العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، (د ط)، (د م ن)،1401 هـ/1981م ، ج11.

116. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية =دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2009.

117. نجاة سالم البطوش، الحملة الفرنسية على مصر والشام، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2012.

118. وديع أبو زيدون ، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر و التوزيع ، ط1، الأردن، 2003،.

119. وليد صبحي العريض ، تاريخ الدولة العثمانية= التاريخ السياسي والإداري ودراسات تاريخية، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1،(د م ن)،2012م.

120. وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تق وتع : عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، (د ط) ،الجزائر، 2006.

121.الياس أبو شبكة، تار يخ نابليون بونابرت 1769م- 1821م، دار صادر،ط1،ط2 (د م ن)،1992،1995.

122. الياس أيوبي، محمد علي وسيرته وأعماله وأثاره، إدارة الهلال ،(د ط)، مصر، 1933.

123. يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار هومة، (د ط)، الجزائر، 2013، ج3.

124. يحي بو عزيز ، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ،دار الهدى ،(د ط) ،الجزائر، 2009،ج1.

125. بسام العسلي، خير الدين بربروسا والجهاد في البحر 1470- 1547، دار النفائس، ط1، بيروت، 1400هـ/1980م.

المذكرات

1. حماش خليفة إبراهيم، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798-1830م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: جليل عبد الحميد عبد العال، جامعة الإسكندرية، قسم التاريخ والآثار،(د د ن) ،1408هـ/1988م.

2. عايض بن حزام الروقي، حروب محمد علي في الشام و أثرها في شبه الجزيرة العربية 1247 - 1255هـ /1831- 1839م ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي ،مكة المكرمة ،1414هـ.

3. غائبة بعيو، التنظيمات العثمانية وأثارها على الولايات العربية = الشام والعراق نموذجا، 1839م- 1876م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الغالي غربي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ،(د م ن) ، 2008-2009.

4. فائقة محمد حمزة عبد الحميد بحري، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، إشراف :علي رابح الثقفي، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية ،1409هـ/1989.

5. ودان بوغوفالة، الثورة الفرنسية وبونابرت في الكتابات المغاربية خلال القرن 13هـ-19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف نصر الدين سعيدوني، جامعة بوزريعة، قسم التاريخ، الجزائر، 1421هـ/2000م- 1422هـ/2001م.

المجلات

1. أحمد سالم سالم علي، الدولة العثمانية ونقد نظرية الاستعمار عند جمال حمدان، مجلة كان التاريخية، العدد 15، (د. م)، ربيع الثاني، 1433هـ/مايو 2012.
2. محمد بوشنافي، الداي حسين وسقوط ا يالة الجزائر 1818- 1830، مجلة العصور، عدد 6- 7، مخبر البحث التاريخي، مصادر وتراجم، جامعة وهران، الجزائر، 1999.

الموسوعات

1.جان برينجي وفيليب كون تامي و آخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام =منذ بداية القرن 14 وحتى نهاية القرن 18 ،تر: وجيه البعيني ،منشورات عويدات ،ط1، بيروت وباريس، 1995 م ،ج2 .
2. نور الدين حاطوم ، موسوعة التاريخ الحديث = تاريخ عصر النهضة ،دار الفكر،(د ط) ،.سوريا،1968.

المعاجم

1. سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية (السلسلة الثالثة 43)، الرياض، (د. ط)، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م.
2. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1997م.

3. نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية =معارك، غزوات، حروب، ثورات، وقعات، أيام فتوحات، مذابح عبر العصور التاريخية منذ فجر التاريخ وحتى عام 2005م، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1432هـ/2011م.

دراسة وثائقية

1. فاطمة علي عبد الله العواد، العلاقات العثمانية الفرنسية 926 -974 هـ /1520 - 1566م=دراسة وثائقية ،إشراف عبد الله سراج منسي،(د م ن) ،(دس ن) .

المراجع بالفرنسية:

1. dd barou, histoire politique des peuples musulmans de puis mahomat jusqua nos jours, tome second charles thomine, paris, 1842.

فهرس
المحتويات

فهرس المحتويات

الفصل الثالث: الأطماع الفرنسية في شمال إفريقيا (الجزائر انموذجا)